
مجلة البيان – العدد 65 ، المحرم 1414هـ / يوليو 1993م

كلمة صغيرة

لم يكن سقوط بغداد (656 هـ) ممكناً لولا خيانة الوزير ابن العلقمي ، لأن القوى الخارجية تبقى محدودة التأثير ما لم تتعاون معها قوى عميلة من الداخل .

تكررت مآسي المسلمين بعد سقوط بغداد فتساقطت مدن الأندلس واحدة تلو الأخرى وتتابعت المآسي ، فضاعت فلسطين وبضياعها ضاعت حقوق أهلها ، وها نحن الآن نعاصر ضياع البوسنة والهرسك والأعداء هم الأعداء، وطريقة الضياع هي نفسها لم تتغير ، والعالم الإسلامي يقف متفرجاً كأنما أصيب بالشلل التام .

إنه أمر عجيب تحار فيه العقول !!

ما الذي دهى المسلمين حتى ضاعوا وأضاعوا حقوقهم وبلادهم . إننا لا نطلب من العلماء والمفكرين وصف الداء بل وصف الأدواء علّنا نجد مخرجاً من هذا المأزق ، كما نطلب أن يتحملوا المسؤولية كاملة قولاً وعملاً ، قياماً بما يمليه عليهم الواجب في هذه الأيام العصيبة التي كرست اليأس الذي يكاد أن يحيط بالمسلمين .

المحرر

الافتتاحية

قد خلت من قبلكم سنن

رئيس التحرير

أحداث مهمة وخطيرة جرت وتجري على الساحة الإسلامية في السنوات الأخيرة،أحداث استنفذت الطاقات وذهبت بالجهود سدى ، استنزفت الدماء الطاهرة وأدت إلى زج خيرة الشباب في السجون . هذه الأحداث وغيرها مثل الدخول في معمعان السياسة من الأمور الكبار التي لا يجوز أن ينفرد بتقريرها أفراد أو تجمعات صغيرة ، لأن أمرها يهمُّ الأمة كلها ونفعها أو ضرها يعمُّ الجميع ، وليست من مجالات الاجتهادات الخاصة ببلد دون آخر .

هذه الأحداث المستمرة لا يجوز أن تبقى خارج دائرة النصح وإبداء آراء السياسات الشرعية فيها ، كما لا يجوز أن تبقى خارج دائرة التحليل والنقد ومعرفة أسباب الخلل ومواطن الضعف، وهذا يقتضي أن نصارح بعضنا وننقد أنفسنا، ولئن كان في السكوت مصلحة مقُدَّرة فيما مضى فإن الدعاة

والعلماء والمفكرين مدعوُّوْن اليوم لبيان الرأي الصريح، وقول كلمة الحق في هذه الأمور الكبيرة طلباً للحق الذي يجب إحقاقه عاجلاً أو آجلاً .
لـقـد ســنَّ الله تعالى النظر في سير الأولين و الآخرين لمعرفة أسباب الظفر والتمكين وأسباب الفشـل والـتـراجع فهل كُتب على المسلمين عدم الاعتبار بحدث ماضٍ ، وعدم التفكير بما وقع لإخوان لهم في زمن قريب ؟ هل درُست كل الحركاتً التي قامت سابقاً ولاحقاً ؟ تلك الحركات التي أكبر أسباب فشلها ناتج عن العجلة وقلة الاستعداد المطلوب شرعاً وعقلاً ، بل إن الـبـعض الآن لا يتعجل قطف الثمار لأنهم يعلمون - كما يصرحون - أن لا ثمار ولا نتيجة من وراء هذا العمل ، ولكنهم يعملون لمجرد أنه لا يوجد طريق آخر بنظرهم !
هل يجوز شرعاً. . القيام بإعمال لمجرد اجتهادات من هذا النوع ؟ وهل - يصح في العقول - أن يقـــــوم أفراد بعمل يجرون فيه المسلمين إلى الصراع دون أخذ الأهبة ودون (تخطيط مسبق) تحسب فيه كافة الاحتمالات ؟
في مـثـل هـــــذه الظروف الارتجالية يدخل في العمل من يظنُّ أن النصر قريب طلباً لجني الـثـمار، وهو بذلـك أقرب إلى المنافقين ، ويدخل أشخاص انتهازيون يريدون السيطرة على هذا الـعـمل ، وهذا أمر سهل ، يكفيه أن يرفع شعار المرحلة ، بل يزاود على الذين رفعوه - بصدق - من قبَلُ ليتقدم الصفوف الأولى .
حينما تـعـمُّ الـفـــوضى يعُـتـقــل أكثر القادة وبكل سهولة ، ففي أحداث بلد عربي بلغت الخسائر في مـدينة واحـــــدة خلال أشهر أكثر من (600) شهيد ، وفي مدينة أخرى يقود العمل متُصوفٌ يخـطـط لعملياته بناء على الأحلام التي يراها في الليل(1) ، وذلك ما أدى إلى كشف وقتل مـعـظم الذين كـانــــوا معه و اعتقُل آلاف الشباب بسبب اشتراك أناس لم يتربوا تربية إيمانية ، بل اندفعوا عاطفياً وتعرفوا على كل شيء ، وعندما اعتقلوا اعترفوا بكل شيء ، وكانوا صــيداً ثميناً للطغاة ، فهل يُضحّى بشباب تربوا تربية طويلة من أجل أهداف بسيطة ، وهل أتــاك نبأ الـذيــن يـتـورطون في هذه الأعمال ثم يضطرون للكذب في بياناتهم عندما يتحدثون عن الإعـداد والعدَّة ، وإذا سألتهم عن مئات الشباب الذين قتلوا أو سجنوا (وهم على نياتهم الخيرّة الـصادقة) قالـوا : لا بدّ من التضحية ! نعم لا بد من التضحية وليذهب الآلاف إذا كان ذلك في صـالـح أهداف المسلمين وإعزاز دين الله وإذلال الكفر وأهله .
إن من أهداف العمل الإسلامي قمع أهل الكفر والـضــلال ، وأن يكون الدين كله لله ، وأن تعلو راية الإسلام ، فإذا كانت النتائج على الضدِّ من هذا ، وكانت ضعفاً للمسلمين وإذلالاً لهم وشفاءً لصدور الكفار والفسقة والعلمانيين ، فـلـمـاذا لا نراجع حساباتنا لنعرف ما إذا كنا قد أخطأنا التقدير ، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل .

إننا مأمورون شرعاً بأخذ كافة الاستعدادات المــاديـة على المستوى البشري ثم نتوكل على الله ولانقلب الآية فنفسر التوكل تفسيراً غير صحـيـح ، ونقوم بأعمال ضعيفة باسم التوكل على الله ، كما أنه لا يجوز أن يجرنا اليأس و الإحباط ، أو تخاذل البعض وارتمائهم في أحضان أعداء الإسلام وتأويلاتهم الفاسدة، لا يجوز أن يجرنا إلى أعمال لسنا مقتنعين بها.

هل يظن المسلمون أن الرعيل الأول من المسلمين لم يكونوا على علم واســع بعدوهم ومقدرته ومعرفة طبيعته من كل الجوانب،ألم يكن أبو بكر - رضي الله عنه - عالماً بأنساب العرب تفصيلاً ؟ وهذا أمر مهم للدعوة. ألم تكن قريش - بسبب تجارتها - تعرف أرض فـــارس والروم ، وطرق المواصلات وخـصـائـص تلك الشعوب ؟ ألم يكتب عمر - رضي الله عنه - لسعد بن أبي وقاص طالباً منه وصــــف أرض العراق وأرض المعركة كأنه يراها ؟ ألم يُعين القادة الفاتحون أمثال خالد وعمرو بن الـعــاص ويزيد بن أبي سفيان - رضي الله عنهم - من أولي الخبرة الشخصية القيادية؟ ولم يؤمَّر من هو أعلم منهم فـي أمور الدين. فـلـمــــاذا تترك أمور خطيرة لأصحاب النوايا الطيبة ممن ليس عندهم الخبرة الكافية .

نحن نعلم أن هذا الكلام لن يعجب الكثيرين من الناس ، ولكن لابـدّ من قول كلمة الحق ، ولابد من النصح لخاصة المسلمين وعامتهم، ولا نقصد من الـنـصـــح - علم الله - تجريحاً لفرد أو جماعة مع علمنا أن الذي حدث ويحدث كان بنية طيبة ، ولكن هل تكفي النوايا الصادقة ؟ أم يجب الأخذ بالركن الثاني وهو الصواب في العمل .

الهوامش:

1- قد وقع هذا ولا داعي لذكر الأسماء .

في إشراقة آية

((إنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ))

د. عبد الكريم بكّار

أكرم الله - سبحانه وتعالى - الخلـق ، فـأرسل لهم الرسل تترى حتى تظل أعلام الهداية منشورة ، وحتى لا يكون لأحد على الله حجة بعد إرسال الرسل . وينقسم الناس أزاء كل رسالة في العادة إلى فريقين فريق يصدق ، وفريق يكذِّب ، وكانت حجة المكذبين الجاحدين ما حكى الله عنهم : ((وكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِــن قَـبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ)) [الزخرف 23- 24] .

وظاهر هذه الآية أن الرؤساء والوجهاء والمترفـيــن هم - في الغالب - الذين قاوموا دعوات الرسل ؛ لأن أية رسالة ستحدث تغييراً في القيم السائدة

والأحوال المعاشة ، وهذا التغيير سيمس مصالحهم ومكاسبهم ، ومن ثَمَّ فإن موقفهم هو التأبي والمعاندة . وبما أن الحياة الجمعية لا يمكن أن تستقيم، وتنتظم من غير ضوابط عرفية تؤمِّن نوعاً من التعاون،وتَحُوْل دون بغي الخلطاء على بعضهم بعضاً كان الجواب دائماً : أن ما تقوم عليه حياتهم الاجتماعية هو ما وَرِثوه عن آبائهم وأجدادهم من الأعراف والعادات والتقاليد ، وما حياتهم إلا استمراراً لحياة سلفهم الذين يفاخرون بهم .
والخلف لا يكتفي عادة بالتلقي الأصمّ عن السلف لكنه ينشئ من الفلسفات والمقولات والخرافات ما يمنح ما ورثه - من تقاليد - القداسة والاحترام مما يجعلها محوراً للمنظومات العقدية والفكرية والرمزية والتاريخية ! وهذا كله طبيعي ؛ لأنه في حالة اندراس معالم المنهج تصبح السوابق التاريخية هي المنهج ، ومن ثم كان من مهمات المصلحين وضع السوابق التاريخية في إطارها الصحيح .

ماذا تعني الآبائية ؟

ليس كل ما يرثه المرء عن آبائه وأجداده رديئاً - لأنه لا يوجد جيل مختص بالرذائل - لكن الرديء هو أن نفقد القدرة على الحكم على تلك الموروثات ، ونُحلها محلَّ القبول والاقتداء ! وإذا تأملنا قضية التقاليد الموروثة وقبولها دون تبصُّر ولا تمييز وجدنا أنها تعني أموراً عديدة منها :
- إن الإنسان قادر على امتلاك منهج يُسَيِّر حياته من خلال خبرته التراثية دون مرشد خارج عن حدود ذاته ، وهذا ما نجده واضحاً في جواب المترفين للرسل حين قالوا لهم : ((أَوَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ؟)) [الزخرف 24] ، وكان الجواب : ((إنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ)) [الزخرف 24] .
وفي هذا الجواب القاطع الخالي من أي تدليل أو برهان توصيف آخر للآبائية هو أن التقليد وإن بنى حوله بعض الفلسفات التسويغية إلا أنه يظل مع الدليل والبرهان على طرفي نقيض ، فهو ظاهرة لا دليل لها سوى وجودها فحسب !
ومما تعنيه الآبائية أن البشر امتلكوا ناصية الحقيقة كاملة فيما يتعلق بشؤون حياتهم الاجتماعية . والشعور بامتلاك الحقيقة مع أنه غير صحيح إلا أنه يدفع إلى الجمود ؛ لأن حركة الفكر والعلم لا تنشط إلا عند الإحساس بأن هناك حقائق خافية أو مشكلات تحتاج إلى حل . ومن هنا كانت متابعة الآباء والأجداد من غير ميزان عبارة عن حركة إلى الوراء تصادم منطق التاريخ ، وتجعل أصحابها مخلفين بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى! وإذا كان المنهج الحق يسعى إلى تجديد ذوات معتنقيه ونقدها واستيعاب العظات والعبر من حياة الأولين فإن الآبائية تعني تعطيل تراكم الخبرة البشرية وتقويمها ؛ لأن ذلك يخلُّ بالمكانة التي أنزلوا آباءهم فيها !
وتعني الآبائية أيضاً إحالة العادات والأخلاق إلى إطار مرجعي لا منطقي ومتحجّر، يحكم الناس في حالات اجتماعهم ، ويتيح لهم الانطلاق الحر في

خلواتهم، أي: يؤسِّس الحياة على نوع من الازدواجية، على حيــن أن الديــن يجعل الوازع الداخلي أساساً للانضباط الفردي والجماعي . وإن التفسير المستمر في كل شؤون الحياة يجعل تقليد الآباء فارغاً من مضامينه في أحيان كثيرة،فإذا كان الآباء يتقلدون السيف - مثلاً - لمواجة حيوان مفترس، فما معنى حمل الأبناء له وهم يركبون الطائرة ؟! وإن الآبائية بعد هذا أو ذاك توجد نوعاً من الانحباس الاجتماعي المصادم لسنّة التغيير التي بثها الله - تعالى - في الكون ، ومن ثَمَّ فإن الانغلاق على مواريث بالية لابد أن يعقبه انفلات غير متزن يطيح بصالح الموروثات وطالحها .

المصلحون والآبائية :

لا نبعد النجعة إذا قلنا : إن الآبائية هي أخطر مشكلة واجهت الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وتواجه أتبـاعهم مـن الـمـصـلحـيـن على مدار التاريخ حيث تمتلئ الساحة الاجتماعية بتركة الآباء ومخلفات الأجداد مما يجعلهم يحتاجون إلى تزييف الموروثات أولاً ، ثم إحلال المنهج الرباني محلها . وإن حملة الهدى الرباني يصطدمون بالآبائيين صداماً مباشراً حيث يرون أن ما بأيديهم من الهدى يجعل التراث مملوكاً خاضعاً للمحاكمة على حين يرى الآبائيون أن التراث هو مالكهم والقاضي في حياتهم لا المتهم !

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل بإمكان البشر الفرار من الارتهان للماضي بدون منهج منفصل عن خبرة الإنسان ، أي : لا زماني ؟ الواضح أن ذلك غير ممكن ؛ لأننا باعتبارٍ ما جزء من الماضي ومكوناتنا الثقافية أكثرها موروث ، فنقده وتجاوزه بمبادئ وأدوات منه غير ممكن . ونحن حينئذ كالجرَّاح الذي مهما كان ماهراً فإنه عاجز عن استئصال زائدته أو مرارته بنفسه !

وعلى المهتمين بصلاح الأمــــــة الغيورين على مستقبلها أن يخوضوا معركتين في آن واحد : معركة الحياة العامة وتنقيتها من الرواسب والشوائب التي تولدها حركة الأيام ، ومعركة داخلية في مجال الحياة الفكرية ، وما فيها من مشكلات التجديد والتقليد والاجتهاد وحدود سلطان العقل والنقل الخ ..

إن معالم المعركة الأولى تتمحور حول (مفاصل) التقاليد والسنن والتوزيع الصحيح للاهتمام بمفرادت التكاليف الشرعية ، وما يتصل بها مما يحفظ كيان الأمة . وعلى هذا الصعيد نلاحظ أن المسلمين منتشرون في بقاع الأرض؛ ولــذا فـــإنـهـم يعيشون في ظروف شديدة الاختلاف تؤدي إلى تفاوت عظيم في معرفتهم بالدين ، كـمـا أن الثقافات الأجنبية التي تأثروا بها مختلفة أيضاً ، والمؤثرات المدرسية والمناهجية التي تعرضوا لها متفاوتة ، وهذا كله يجعل إمكانات إقامة التوازن بين متطلبات الدين ومـتـطـلـبـات الدنيا مختلفة ، كما يجعل تحرير الخلاف وترجيح الصواب مختلفاً أيضاً ! ولا ننسى فـي هذا السياق الآثار الكثيرة التي تتركها توجهات الحكومات المختلفة في إبراز أجزاء من الدين وضمور أجزاء أخرى بحسب المصلحة !

ونستطيع القول : إنه كلما خمدت حركة الفقه في دين الله ، زحـفــت العادات والتقاليد والبدع لتحل مكانه في حياة الناس ، ذلك لأن من شأن البشر أن يجعلوا الدين - الذي هو منهج رباني مطلق فوق الزمان والمكان - واحداً من عناصر ثقافتهم بــدل أن يكون الموجّه لتلك الثقافة والحاكم عليها ، وذلك ميسور عليهم ولا سيما حين تـكـــــون هناك بعض الملابسات بين العادات وحقائق الدين في الكُنْهِ أو المظهر ، وقد ذكر ابن الجوزي - رحمه الله - "أن من الناس من لو جلدته حتى يصلي ما فعل ، ولو جلدته حتى يفطر رمضان ما فعل!" مع أن أهمية الصلاة أعظم . وفي زمننا صار إنكار الناس لتعدد الزوجات في كثير من بلاد الـمـسـلمين أعظم من إنكارهم للزنا ! كما صار هناك استغراب من إقبال الشباب على المساجد لأن المساجد خُلقت لمن أكل الدهر عليهم وشرب ، على ما تعودوه في عقود مضت . وفي زماننا تُشْتَنْكَرُ الفاحشة من البنات ويغضُّ الناس الطرف عنها إذا وقعت من الرجال ولا سيما الشباب !!

وفي زمــانـنـــا يُتَّخذ الاهتمام بليلة القدر والمولد النبوي وليلة النصف من شعبان وإغراق الأسواق بالسلع في رمضان قناعاً وستاراً مشهوداً ومن خلف الستار لضرب ركائز الإسلام ومبادئه الكبرى وجعل الداعين إليها غلاة متشددين إرهابيين !!

ويزداد الطين بلة حين يُسهم في هذا الخلل أشخاص تثق بهم العامة لما عندهم من العلم والتقوى . والعامة غير قادرين على مناقشة الأفكار ولا التمييز بين الأدلة ؛ مما يجعلهم تبعا للأعلى صـوتـــاً والأكثر تابعاً . وهذا كله يجعل مسألة تحجيم الآبائية أكثر صعوبة وتكلفة . لكن لا خيار: فإما المنهج وإما المنهج ، وإلا فكيف يكون خلود الرسالة ، وكيف تستمر أنوار النبوة في العالمين ؟!

المعركة الثانية لا تـبـتـعـد في منطلقاتها وعقابيلها (*) عن المعركة الأولى ؛ إذ أنّ تقديس القديم لمجرد أنه قديم هــو الطاقة المحركة لأبطالهما ، لكن الخصوم يختلفون فإذا كان الخصوم في معركة الحياة الاجتماعية من العامة والدهماء وأنصاف المتنورين فهم في الثانية ممن يحمل العلم ، ويحـســب نفسه من المصلحين - وقد يكون كذلك - لكن بُنَى ثقافتهِ العميقة لا تختلف كثيراً عما لدى العامة !

هذه المعركة هي معركة الاجتهاد والتقليد ، والاجتهاد هو بذل الجهد لمد سلطان النصوص إلى كلّ الحوادث والحالة المستجدة المشابهة في علة الحكم لحالات ورود النص وتطبيقاته لدى السلف، على حين أن التقليد يحجم من فاعلية النصوص، ويجعل مجالات الاهتداء بها تتضاءل يوماً بعد يوم ؟ ذلك لأن أية مرحلة سابقة لا تَتَّسِع فـي تنظـيـمــاتها وآلياتها ومـعـطـيـاتـهـا الجزئية لمرحلة لاحقة ، وهذا ما دعا الصحابة والتابعين من بـعـدهم إلـى الاجتهاد ، وهو ما يدعونا أيضاً إليه .

لعل نقطة الخلاف الأساسية ليست في تجويز الاجتهاد والتقليد لشرائح محددة من الأمة ، وإنما تكمُنُ في نزع (صفة دوام الصواب) عن المجتهد ، ومع أن الجميع يُصَرِّحون بأن المجتهد يُخطئ ويُصيب ، إلا أننا نجد في الممارسة العملية مواقف لا تحصى لا تدلّ إلا على اعتقاد أصحـابهـا العصمة في بعض الأئمة والمجتهدين لاعتقادهم أن إحاطة أولئك الأئمة بالأدلة وَحِدَّةِ ذكائهم وفهمهم مع ما أكرمهم الله به من التوفيق يجعل وقوع الخطأ منهم نادراً أو معدوماً ! وقد رأينا كثيراً من طلاب العلم يلتزم الواحد منهم مذهباً واحداً في كل دقائقه، ويحاول الدفاع عن ذلك بكل ما أوتي من قوة، ويوالي ويُعادي في ذلك،ويخسر إخوة في الله ، وهو يظنّ أنه يخوض معركةً لِنُصرة دين الله ! وهذا يدل على جهلٍ فاضح في العملية الاجتهادية المعقَّدة، والـتـي تلـتـحـم فــيـها عناصر أربعة، هي مجال رحب ، للاختلاف بين المجتهدين ، هذه العناصر هي: الإمـكـانــات الذهنية التي أكرمنا الله بها والنصوص والأدلة المتعلقة بالقضية موضع الاجتهاد والخلفية الثقافية للمجتهد (وهي ما كان يُسْمّى بالأهلية) بالإضافة إلى الواقعة نفسها والـظـــــروف والخلفيات المحيطة بها . وتَمَكُّنُ المجتهدين من كل ذلك متفاوت إلى حدًّ بعيد، وهذا كله ينفي عن المجتهد دوام الصواب في كلّ ما ينظر فيه . وأن من المفيد أن ننظر إلى المجتهد بعيون أبناء زمانه حيث تخلصوا من وَهْمِ التقديس بسبب من المعاصرة والمعاشرة ومـعـــرفة الخفايا والإمكانات لبعضهم بعضاً .
إننا إذا لم نتمكن من التجديد الذاتي فـسـنعـرِّض أنفسنا إلى غزو من الخارج ، أو انحباسٍ داخلي يعقبه انفجار لا ينبع معه الترقـيـع! وإن تجاوزنا المعطيات مراحل عديدة في حياة المتقدمين لنلتصق بالادلة في إطارٍ من مقـاصـد الشريعة العامة أمر حيوي للغاية ؛ حـتـى لا نـقـعَ ضحيةً للغرق في مراحل الانحـطـاط والتدهور التي مرت بها هذه الأمة في قرونـهـــا المتأخرة ! وعلى الله قصد السبيل .

الهوامش:

* العقابيل : الدواهي - البيان - .

من إيجابيات الدعوة الإسلامية
» تعظيم مذهب السلف «

د. عابد السفياني

الدعوة الإسلامية الـمعاصرة بذلت جهداً كبيراً لإصلاح العالم الإسلامي ومعالجة ما يحمله من أمراض وعلل مـنـهـا عـلـى سـبـيــل الـمـثال شرك القبور والأضرحة وما يتبع ذلك من الخرافات والغلو في الصالحين ، ومنها الإعراض عن التحاكم للشريعة الإسلامية ، وقام في العالم الإسلامي علماء

يمثلون صوت الدعوة الإسـلامية يذكرون بالعلم الصحيح ويدعون إلى التحاكم إلى الشريعة الإسلامية في جميع المجالات .
ولقد بقي أمام المصلحين من مؤسسي الدعوة الإسلامـيــة المعاصرة مجالات كثيرة تحتاج إلى تجديد وبذل مزيد من الجهد . من هذه المجالات :
1- تصحيح العقائد عند طوائف كثيرة من الناس سيـطـرت عـلـيـهـم الخرافات والغلو في الصالحين وانتشرت بينهم أنواع كثيرة من الشرك وحملهم التقليد والتعـصــب والجهل إلى رد العلم الصحيح بالسنة .
2- انتشار الإعراض عن دين الله بترك العمل به وترك التحاكم إليه وتـرتـب عـلـى ذلك انتشار القوانين الوضعية والعمل بها . وراجت في العالم الإسلامي المذاهب الفكرية الـتـي زَّينها الغزو الفكري للناس فحكمت قوانينها وتمكنت وصدت طوائف من الناس عن عبادة الله وحده . وقد ناهض الدعاة والمصلحون هذا الخطر العظيم وبقي السؤال المهم وهو على أي أساس قام هؤلاء الدعاة بالإصلاح والتجديد ؟
ونـكـتـفـي بذكر الجواب على سبيل الإجمال لندلّ به على جوانب الخير العظيمة التي اشتملت عليها الدعوة الإسلامية المعاصرة . ومنهجنا الذي نذكّر به - وقد سبق بيانه في المقال الأول - إن هــذه الإيجابيات لا تمنعنا من الوقوف عند أمور تحتاج إلى معالجة ، وتأمُّل مقالات بعض الـمفكرين يحتاج إلى تصحيح . والمقام هنا للحديث عن الإيجابيات ومنها :
توجه الدعوة الإسلامية المعاصرة إلى تعظيم مذاهب السلف ويدل على ذلك:
أولاً : استمرار دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب وانتشار آثارها العلمية في العالم الإســـلامي وأبرز ما فيها تحقيق مذهب السلف في التحذير من شرك القبور والخرافة وما يتبعها مــن بـدع وأهـــــواء والتحذير أيضاً من كفر الطواغيت وإعراضهم عن قبول الشرع والتحاكم إليه . وقد كشف في كتابه (مسائل الجاهلية) عن تلك المظاهر الشركية والكفرية محذراً منها ومبيناً أن الإيمان قول واعتقاد وعمل وأن له نواقض هي أسباب الكفر والشرك الأكبر مذكراً بعقيدة السلـف في ذلك كله داعياً الناس إلى الاعتقاد الصحيح في صفات الله -سبحانه وتعالى- .
ثانياً : استمرار الدعاة إلى مذهب السلف في أنحاء كثيرة من العالم وانتشار كتبهم وأتباعم وأنصارهم ومن أبرز ما نشير إليه من المظاهر التي تدل على تعظيم مذهب السلف مما يلي:
أ- نشمر العلم الصحيح بالسـنـــة وبرزو أئمة مجتهدين في بيان صحيح الحديث وضعيفه فانتشرت كتب الحديث وشاع هذا العلم بين الطلاب .
ب- نشر الاعتقاد الصحيح في صفات الله تعظيماً لله واتباعاً لعقيدة الصحابة -رضوان الله عليهم- .
ب- إنكار البدع والأهواء المضلة عن مذهب السلف ومحاربتها .

ومن أبرز المظاهر العملية لهذه الدعــوات تعليم الأفراد في المجتمعات ، وإنكار المخالفات العملية ، ومن أبرزها انحراف أهل البدع وشرك القبور ومخالفة السنة .
ولعل سائل يسأل فيقول : إن هذا الجهد في تعظيم مذهب السلف جهد طيب ولكن المشاهد عند هؤلاء الدعاة الاقتصار على معالجـــة هذه الانحرافات وهناك انحرافات أخرى مثل "المذاهب الفكرية ، وقوانينها الوضعـيــة" وهذه تحتاج من الدعاة إلى جهد كبير لكشف زيفها وتحذير الناس منها . فكيف تتم معالجتها ؟
ويمكن أن يجاب على هذا السؤال بما يأتي :
1- أن الدعاة السلفيين يعتبرونه انحرافاً يحتاج إلى معالجة ولكنهم يعالجون الانحرافات التي سبق ذكرها لأنهم يرون أنها أخطر والمسألة عندهم لا تعدو ترتيب الأولويات .
2- أنهم ينادون بتصحيح الواقع في ضــوء عقيدة السلف ويرون أن تحذير الناس من شرك القبور والأهواء والبدع ومخالفة السنة هـــو طـريــــق لمحاربة المذاهب الفكرية المعاصرة وقوانينها .
والظاهر أن هذا النقص الموجود عندهم في مواجهة المذاهب الفكرية والقوانين الوضعية قد سده دعاة آخرون من أهل السنة والجماعة شاركوا في كشف أباطيل الغزو الفكري وقوانينه مع محافظتهم على عقيدة السلف ومشاركتهم إخوانهم في معالجة الانحرافات الأخرى . ولا شك أن هؤلاء وهؤلاء معظمين لمذهب السلف .
ثالثاً : هناك دعاة آخرون يخلطون مذهب السلف بـغـيـره من آراء المتأخرين ومناهجهم متأثرين تارة بالأشعرية وتارة بالصوفية ومع ذلك فإنهم يعظمون مذهب السلف ويدل على ذلك أنهم لما جعلوه مقارناً لبعض الأسماء قدموه عليها فقالوا :
أ- دعوتنا طريقة سلفية وحقيقة صوفية..
ب- أنهم يعتقدون السلامة فيه كما قال الأشاعرة من قبل "مذهب السلف أسلم" والشهادة لمذهب السلف بالسلامة تعظيم له بهذا الاعتبار .
جـ- أن أكثرهم يعتبرون المسألة مسألة أولويات وأسـلـوب وإلا فإن عقلائهم يشهدون بأن مآل الحال هو انتصار مذهب السلف ويرددون قولتهم المشهورة وهل أحد يخالف مذهب السلف ؟
ومع وجود كثير من المخالفات لمذهب السلف إلا أن مــا ذكرناه فيه دلالة ظاهرة على أن مذهب السلف له تعظيمه في النفوس وله هيبته فتجد المخالف لبعض عقائد السلف يشهد بأن السلامة فيه كما صنعت الأشاعرة.
فآل الأمر - والحمد لله - إلى تعظيم مذهب السلف قولاً وعملاً واعتقاداً أو على الأقل الشهادة له بالخيرية والسلامة .

ومن البشائر التي نذكرها في هذا الباب وجود أقوام قد خرجوا من تحت أنقاض الشيوعية الخاسرة محتفظين بإسلامهم على عقيدة السلف الصالح وهذه بشارة تشير إلى أن البديل عن المذاهب الوضعية والعقائد البدعية هــو الإسلام لا على فهم العصور المتأخرة بل على فهم الجيل القدوة الذي رباه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهذا هو الطريق الصحيح الذي ينبغي على الدعاة أن يتعاونوا على الاجتماع عليه ونصرته مبتغين بذلك وجه الله -عز وجل- والدار الآخرة وهمهم هداية الخلق وإبعادهم عن أسباب الشرك والكفر بجميع أنواعه سواء أكان شرك القبور والغلو في الصالحين ، وما يتبعه من الأهواء والبدع أو كان شركاً في العبودية والطاعة والتشريع مِنْ دون الله .

دعوة

حتى نستفيد من خطبة الجمعة

محمد بن عبد الله الدويش

ما أحوج الدعاة إلى التأمل في مجالات الدعوة، ووسـائـل مخـاطـبة الجماهير ، والسعي إلى توسيع دائرة المخاطبة ، والتحدث للجميع وإسماع رسالتهم لـلـكــل . إن مــراجعة الدعاة لوسائلهم الدعوية ، وأساليبهم مطلب ملحّ ، وواجب تمليه ضرورة الدعوة ذاتها .

وإن من الوسائل التي يمكن للدعاة أن يخاطبوا فيها الجميع،ويبلغوا رسالتهم للناس كافة، (خطبة الجمعة) فأي قدر حظي به هذا المنبر، وهذه الوسيلة من الدراسة، والعناية، فضلاً عن التوظيف العملي لهذه الوسيلة .

وهذه محاولة لوضع إضاءات ، وإشارات حول هذا الموضوع الملحّ .

أولاً : أهمية خطبة الجمعة :

1- الأمر بالسعي لها ، فإن المسلم مأمور بالسعي لصلاة الجمعة حين يسمع النداء، ويحرم عليه أن ينشغل ببيع أو نحوه . قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إلَى ذِكْرِ اللَّهِ وذَرُوا البَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)) [الجمـعـة 9] . وهو في الوقت نفسه يحض على التبكير إليها كما قال - صلى الله عليه وسلم - : "مَـثَـلُ المهجر(1) كمثل الذي يهدي بدنه ، ثم كالذي يهدي بقرة ، ثم كالذي يهدي الكبش، ثم كالذي يهدي الدجاجة ، ثم كالذي يهدي البيضة"(2) . ويؤمر بالتهيؤ النفسي لها فيؤمر بالتطـيـب والاغـتسـال والسواك. قال - صلى الله عليه وسلم -: "من جاء منكم الجمعة فليغتسل"(3) .

2- وحين يحضر المصلي للجمعة يلزمه الإنصات للخطيب ولا يجوز له الكلام ولو أن يقول لصاحبه صه . "إذا قـلـت لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة : أنصت فقد لغوت"(4) . فـهـــذا المصلي الذي أوجب عليه السعي للجمعة،

وحُث على التبكير لها، والـتـغـســل والتطيب ، وحُرّم عليه الكلام حال الخطبة ، من حقه أن يعتني بهذه الخطبة التي تقدم له .
3- خـطـبـــة الجمعة لها شأن عظيم عند الله -عز وجل- فهي ذكر لله كما سماها الله في كتابه، وهي شعيرة من شعائر الدين، تشهدها الملائكة، كما قال -صلى الله عليه وسلم-: "إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يـكـتـبـون مــن جاء من الناس على قدر منازلهم ، فرجل قدم جزوراً ، ورجل قدم بقرة ، ورجل قدم شاة ، ورجل قدم دجاجة ، ورجل قدم عصفورا ، ورجل قدم بيضة ، فإذا أذَّن المؤذن ، وجلس الإمام على المنبر طووا الصحف ودخلوا المسجد يستمعون الذكر"(5) .
إن هذا الحديث يلقي ظلالاً من الهيبة والجلال على هذه الخطبة ، وفي الوقـــت نفسه يعطي الخطيب شعوراً بأهمية الكلمة التي يقولها من على المنبر فعلاوة على كل ما فيها من قيمة دعوية ، فإن الملائكة الكرام يسمعونها ، فليت الذين يوظفون خطبهم لتحقيق مصالح فلان أو علان يفقهون هذا الحديث.
4- شهود المسلمين جميعهم لها. فالمسلمون على اختلاف طبقاتهم، ومستوياتهم التعليمية، يحضرون هذه الصلاة ويشهدونها . فيحضرها المثقف ، والجاهل وطالب العلم ، والمتعلم . ويحضرها الكبير والصغير،ومن جانب آخر فحضورها ليس مقصوراً على الأخـيار وحدهم، فكثير ممن لا يشهد صلاة الجماعة يحضر الجـمـعـة ، وهــذا يتيــح للخطيب أن يخاطب الجميع ، وأن يتحدث للكثير ممن لا يحضرون المحاضرات والندوات ، ودروس المساجد . إنها باختصار هي المجال الوحيد المتاح للدعاة والذي من خلاله يتحدثون مع الجميع .
5- تكررها كل أسبوع . ففي العام الواحد يستمع المصلي لـ (52) خطبة ، وحين يعتني بها الخطيب ويرتب موضوعاتها يقدم للمستمع مادة متكاملة . إنها تـمـثـــل دورة مكثفة مستمرة .
6- قيمتها المعنوية عند الناس وتأثيرها ، ففي بحث عن أثر خطبة الجمعة أجري في مصر أفاد 78% أنهم يتأثرون تأثراً دائماً بما يقوله الخطيب ، وذكر 71% أنهم يلتزمـون دائماً بما يقوله الخطيب . واتفق مع أحد خطباء المساجد على أن يخطب عن الربا ، فأجــرى استفتاء قبل الخطبة وبعدها ، كانت النتيجة :
أ- 85% كانوا يعرفون المفهوم الصحيح للربا . وبعد الخطبة ارتفعت النسبة إلى 97% .
ب- 33% كانوا يعرفون عقوبة المرابي . وبعد الخطبة ارتفعت النسبة إلى 59% .
ج- 71% كانوا يعلمون أن البنوك المصرية تتعامل بالربا. وبعدها ارتفعت النسبة إلى 94% .

د- 50% كان يفضل الاستثمار في البنوك الإسلامية.وبعد الخطبة ارتفعت النسبة إلى 64%.
هـ- نـتـيـجـة الخطبة : 34% سينصحون الآخرين بترك الربا . 31% سيقاومون أي عمل ربوي(6) .
إن هذه الدراسة وغيرها تعطي دلالة صادقة أن خطبة الجمعة لها تأثيرها على المصلين ، وذلك حين يجدون الخطيب المؤثر .
7- حضورها يزيد ولا ينقص . فالمصلون لا يخرج منهم أحد قبل انتهاء الخطبة ، إنما يتوافدون ، بخلاف المحاضرة والدرس ، فقد يخرج بعضهم قبل اكتمال الموضوع . ومع اقبال الناس على الخير في هذه الفترة ، يتوافد الكثير من المسلمين إلى الجمعة ممن كانوا لا يعرفونها قبل ذلك .
8- ثباتها في كافة الأحوال ، فهي مستمرة في السلم والحرب ، وفي القحط والجدب ، وفي سائر الظروف .
ومع ذلك كله رغم مدى عنايتنا بهذا المنبر ، وشعورنا بأهميته ، والحرص على أن يصعده الدعاة الصادقون ، وطلبة العلم الواعون ؟
والخطباء أنفـسـهــم أمام مدى إدراكهم لهذه الرسالة وقيمتها وأهميتها ؟ أليست خطبة الجمعة تستحق منا عناية ودراسة لاستثمارها ، وأساليب تطويرها ؟ ولم لا تتلقى المراكز والمؤسسات الإسلامية دورات وبرامج لإعداد الخطباء وتدريبهم ، والرفع من مستواهم ؟ إنها تساؤلات آمل أن تلقى عناية إخواننا.

ثانياً : الموضوع :

1- أن يختار الموضوع في وقت مبكر ، فإن تأخير اختيار الموضوع ، إلى ليلة الجمعة وربما يومها ، يؤدي بالخطيب ، إلى أن يقرر أي موضوع يخطر في باله ، وربما لا يكون مقتنعاً به القناعة التامة، إضـافــة إلى أنه لا يترك له فرصة كافية للتحضير والتفكير في عناصر الموضوع ومحاوره . ويعاني الكـثـيـر من الخطباء من هَمِّ اختيار الموضوع ، فيُقترح إعداد قائمة متنوعة من الموضوعات ، يختار بعد ذلك من بينها .
2- التفكير الجيد في الموضوع بل وطول التفكير فيه - وهذا يستوجب الاختيار المبكر له - يقول "دايل كارنيجي" في كتابه (فن الخطابة) : "حدد موضوعك مسبقاً حتى يتسنى لك الوقت للتفكير به مراراً. فكر به طـيلـة سبعة أيام ، واحلم به طيلة سبعة ليال ، فكر به أثناء خلودك إلى الراحة ، وفي الصباح وأنت تستحم ، وفي طريقك إلى المدينة ، أو بينما تنتظر المصعد ، وعندما تكوي الثياب، أو حين تطهو الطعام،وناقشه مع أصدقائك واجعله موضوع حديثك ، واسأل نفسك جميع الأسئلة الممكنة التي تتعلق به"(7) .
3- أن يكون الموضوع عن قناعة لا تمليها ضغوط الشارع ، أو المناسبة ، أو جهة معينة . مع الترفع عن الإثارة العاطفية .

4- التنويع في الموضوعات والمجالات وعدم التركيز على جانب واحد . فينبغي أن تشتمل موضوعات الخطيب الحديث عن مشاكل الناس الاجتماعية ، وحلولها ، وعلى بيان واقع الأمة ، والمؤامرات عليها ، وعلى الحديث عن الأخطاء المتفشية بين الناس ، وعلى بيان العقيدة وتعليمها للناس ، وعلى بيان ما يحتاجه الناس من أحكام عباداتهم ومعاملاتهم ، وعن الرقائق والوعظ ، وتذكير الناس ؛ وباختصار ينبغي أن تشـمـل على كل ما يحتاج المسلم أن يعرفه في شؤون حياته . وقد تجد البعض من الخطباء يركز على جانب الوعظ دون سواه ، والآخر على الجانب السياسي ، والثالث على الجوانب الاجتماعية.. وهكذا.
إن هـنـاك فـئــة غير قليلة من المسلمين لا يتلقون العلم إلا من خلال خطبة الجمعة، وإن تحقيق التكامل والتنوع في موضوعات الخطبة يهيئ لهؤلاء حَدّاً أدنى من الثقافة الشرعية.
5- التحضير الجيد والمتكامل للموضوع،من خلال القراءة والاطلاع على ما كتب في الموضوع حديثاً وقديماً،وإن ترتيب الخطيب لملفاته وأوراقه،وتدوين ما يمر بباله من عناوين لكتب، أو مقالات ، أو موضوعات ، أو تقارير مما يعينه عـلـــى ذلك . إن المنبر أمانة ، والمصلون ينتظرون أن يسمعوا الجديد من الخطيب ، ومهما كانت ثقافة الخطيب وإطلاعه ، فإنه لا يستغني عن المراجعة والإعداد، والترتيب لموضوعه، ومن الظلم للمصلين، وإهمال الأمانة، أن يحدد الخطيب موضوعه متأخراً ، ولا يعد له فيجيء مهلهلاً متنافراً .
وفي حادثة السقيفة المشهورة قـال عـمــر بن الخطاب -رضي الله عنه- "فزورت في نفسي مقالة" . قال البعيث الشاعر - وكان مـــن أخطب الناس -: "إني والله وما أرسل الكلام قضيباً خشيباً ، وما أريد أن أخطب يوم المحفل إلا بالهائت المحكك" . وكان ابن النوام الرقاشي إذا دُعي للكلام ولم يكن مهيئاً نفسه يقول : "ما اشتهي الخبز إلا بائتاً" .
6- أن يكون الموضوع حول واقع الناس، وما يحتاجون إليه ؛ فالعالم الإسلامي اليوم يموج بأحداث ساخنة ، ومضطربة،والعقل المسلم يعاني من تحليلات الإعلام المضلل الذي يصور القضايا وفق ما يريد فلان ، أو غـيـره ؟ ولذا فإن المصلي ينتظر أن يسمع الكلمة الصادقة ، وعرض القضية من هذا الخطيب الذي يثق فيما يقول لأنه يعرف أنه يدرك أمانة الكلمة ، ومسؤليتها .
وثمة طائفة من المسلمين لا تتفاعل مع قضايا الساحة ، ولا تُعيرها أي اهتمام ، فلها شأن آخر مع شهوات النفس ورغباتها ؛ وهذه الفئة تحتاج لمن يغرس فيها التفاعل مع قضايا المسلمين ، والاهتمام بها ، وأقرب الناس ، وأقدرهم على ذلك هو خطيب الجمعة . ومن الجوانب التي تمسّ الناس ، ما قـــد يحصل من قضايا ، وإشاعات ، وأخبار أو ظواهر متفشية ، إلى غير ذلك مما يخصّ بلداً معيناً ، فينبغي للخطيب أن تكون له فيه كلمته .

وحين يتحدث الخطيب عن هذه القضايا ، لا ينبغي أن يفرط في التحليلات السياسية ، والاجتهادات الخاصة ، والتي هي عرضة للخطأ والصواب ، إنما يركز على بيان وجه القضية ، والأخبار الصادقة عنها ، والمنهج الشرعي في التعامل معها .

7- مناسبة الموضوع المصلين ، فالمسجـد الذي يؤمه كثير من غير أهل البلد قد لا يناسب التحدث فيه عن مشاكل اجتماعية خاصة بهذا البلد ، والمسجد الذي أكثريته من الطلاب غير المتزوجين ليس من الحكمة أن يتحدث الخطيب فيه عن المشاكل الزوجية ، ومسجد القرية والبادية لا يستحسن الحديث فيه عن قضايا تخص النخبة المثقفة . فعلى الخطيب أن يدرك طبيعة المصلين ، وتركيبتهم ، ويختار لهم ما يناسبهم ، وما يحتاجون إليه .

8- العمق العلمي في الموضوع ، فلا يكـفـي أن يقتصر الموضوع على عبارات إنشائية ، أو خواطر وأفكار شخصية ، وإن العناية بالاستشهاد بالنصوص الشرعية ، وأقوال أهل العلم ، والعناية بالتأصيل العلمي للموضوع يعطي المستمع الثقة ، والقناعة بما يطرح .

9- دقة المعلومات والتأكد من صحتها ومن ذلك :

أ- الأحكام الشرعية : ببحثها بحثاً دقيقاً وتأصيلها .

ب- الأحاديث النبوية: وذلك بالتأكد من صحتها وثبوتها؛ لذا فعلى الخطيب أن يتعرف على طريقة التعامل مع كتب الحديث ليتسنى له الوقوف على ما قاله أهل العلم في درجة أي حديث يود الاستشهاد به .

ج- الإخبار : فلا يليق بالخطيب أن يتلقف أية إشاعة، أو خبر ليكون مادة لخطبته ، بل يثبت ويتبين .

د- القضايا العلمية والمتخصصة: قد يتطرق الخطيب للحديث عن بعض الجوانب الطبية، أو التخصصية في أي فن؛ وحين يتحدث الرجل بغير فنه يأتي بالعجائب، فعليه أن يتأكد من صحة المعلومات ، فقد يكون ضمن المصلين أحد المختصين بما يتحدث عـنـه ، فيسمع الغرائب .

10- مناسبة الموضوع للمقام والزمن : فقد خطب أحد الخفاء ، في إحدى عواصم الدول الإسلامية عن ليلة القدر يوم الثلاثين من رمضان ؛ وليس هناك أمل بإدراك هذه الليلة . أو يكون هناك حدث يعني الأمة كلها ، وينتظر المصلون الخطبة ليستمعون رأي خطيبهم في ذلك ، فيفاجؤون به يتحدث عن قضية اجتماعية، أو قضية لا تمت بصلة لما هم فيه.

11- الـوحـــدة الموضوعية ، فلا يسوغ أن تكون الخطبة خليطاً متنافراً من الـقـضـايـــا والموضوعات ، ومليئة بالاستطرادات المناسبة وغير المناسبة .

12- تناسق الأفكار وتسلسلها .

"يتبع"

الهوامش :

1- المبكر وزناً ومعنى .

2- متفق عليه من حديث أبي هريرة .
3- رواه البخاري (877) ،ومسلم (844.845) كلاهما عن حديث ابن عمر .
4- متفق عليه من حديث أبي هريرة .
5- متفق عليه من حديث أبي هريرة .
6- انظر: "خطبة الجمعة والاتصال بالجماهير" لمحي الدين عبد الحليم ص (160) فما بعدها .
7- فن الخطابة ، مع ملاحظة أننا نوافقه على أصل الفكرة دون تفاصيلها .

في وضح النهار

التطـــــرف

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

ترد في القاموس من مـعـاني "طرف" [الطَرَف] بمـعـنـى الناحية من النواحي والطائفة من الناس، وطرف الشيء: أقصاه من اليمين أو اليسار، وهو أبعد الناحيتين، ومن ذلك "طرف الحبل" و "طرف الصف" . وللكلمة معانيها الأخرى التي سردتها معاجم اللغة .

ظلّت هذه الكلمة ساكنة مستقرة في مواقعها من كتب اللغة،وفي أماكنها من أساليب الناس، ومرَّت عليها قرون طويلــة وهي تنعم بهذا السكون وذلك الهـــدوء ، ولكنّ دوام الحال من المحال ، والأيام مداولة بين الناس ، وقد جرى لهذه الكلمة مـن تغـيـر الأحوال ما أزال هدوءها ، وقضى على سكينتها وملأ حياتها قلقاً واضطراباً ، وقد استيقظت ذات يوم على صـــدى حروفها يتردد على الألسنة وتتناقله وسائل إعلام عصر "العلمانية" ومـنـذ ذلـك الوقت فقدت راحة البال ، وأصبحت مسكونة بالجنون لا يقرُّ لها قرار ، وهي شقية بذلك كل الشـقـاء، صحيح أنها تغيظ جاراتها في قواميس اللغة لأنها أصبحت "على كل لسان"، بل أنها أصـبـحت من الشمولية والإنتشار بمكانة لم تحظ بها أهم كلمات القاموس وأشدها وطأة وأسماها مكاناً ، صحيحٌ كل ذلك ، ولكن هذه الكلمة شقية كل الشقاء لأنها حُمَّلت ما لا تطيق من المعاني التي لم تكن تخطر على بال . "التطرف ". . مصطلح جديد أضيف إلى هذه الكلمة الحزينة ، وهو محدَّد المعنى ، إنه يعني المبالغة في الاتجاه إلى أحد الطرفين مما لا يمكن أن يتم معه الالتقاء بينهما . وقد دار هذا المصطلح وطار ، حتى استقر أخيراً على رؤوس الـمـلـتـزمـيـن من أبناء الإسلام - أعانهم الله - فأصبحت الكلمة - في عرف علماني هذا العصر - حكراً على المتدينين من أبناء الإسلام لا تكاد تتجاوزهم إلى سواهم ، فهم المتطرفون أي المبالغون في الاتـجـاه إلى أحد الطرفين فما يدعون مجالاً للالتقاء بالطرف الآخر، وكاد الأمر يهون على هذه الكلمة لولا أنها أصبحت تعاني أشدَّ المعاناة من ملاصقة كـلـمـة أخـــــرى لها صارت بالـنـسبة إليها الشبح المخيف الذي لا يفارقها ألا

وهي كلمة "الإرهاب" وقد آلم كلمة التطرف هذا الاقتران المفروض عليها بكلمة "الإرهاب" بالرغم من تباعد مكانهما في القاموس لفظاً ومعنى تباعداً لا يؤهلهما للاجتماع ، ولكنَّ علمانية العصر "المتطرفة" تأبى إلا أن تجمع بينهما .

ولا بد لنا - بـعـد هــذا العرض المأساوي - لحياة هذه الكلمة من الوقوف قليلاً أمام كلمة "التطرف الديني" هـــل هي صحيحة بهذه الصورة من التركيب ، وهل مصطلح التطرُّف موقوف على أبناء المسلمين الملتزمين به ؟؟

هنا يكمن الخلل في نظري.. فالمعروف أن "التطرُّف" يعني الانحياز إلى أحد الطرفين ، فهل انحاز أبناء الإسلام إلى أحدهما ؟؟

أولاً: الإسـلام ديـن شـامــل وهو دين "الوسطية" بمعنى أنه يراعي جوانب الحياة البشرية كلها دون انحياز إلى طـــرف منها على حساب الآخر ، فالعقل والروح والقلب ، وجوانب النفس البشرية الأخــرى لها وجودها في الرؤية الإسلامية لا تطغى في ظل شرع الله واحدة منها على الأخرى، وهـــو بـهـــذا يختلف عن الديانات الأخرى التي عالجت جانباً من الجوانب ، وتركت الجوانب الأخرى، ومـن هــنــا فإنَّ كلمة التطرف بعيدة كل البعد عن حقيقة الإسلام .

ثانياً: شباب الإسلام الذين التزموا به حملوا مبادئه وأخلاقه بما فيها من شمولية ووسطية واعـتــدال، وإنما تطرَّف غيرهم ممن ابتعد عن هذا الموقع الإسلامي الفريد، فـغـرقــوا فـي شهواتـهـم وأهوائهم ، واغـتــرروا بعقولهم واختراعاتهم ، وطال عليهم أمد هذا الانحراف حتى ظنوه اعتدالاً ، وظـنــوا الالتزام بالإسلام تطرفاً ، وأوغلوا في هذا الظن السيء حتى أصبحوا يرون كلَّ مخالفة لما هم عليه "تطرفاً وإرهاباً" .

ثالثاً: بـنـاءً على هذا الفهم الصحيح يـصـبـــح "العلماني" (*) هو المتطرف ، والقومي هو المتطرف، واليساري هو المتطرف، والحداثي هو المتطرف، أما الإسلامي فهو الذي يقف في منطقة الشمولية والاعتدال، ألا فليفهم المخدوعون هذه الحقيقة،وأعان الله كلمة "التطرُّف" على ما تعانيه من قلق واضطراب .

الهوامش:

*- إن كلمة علماني هي ترجمة غير صحيحة للكلمة الانكليزية "Secularism" ومعناها : الدنيوية ، عدم المبالاة بالدين ، أو بالاعـتـبـارات الدينية ، ويروج العلمانيون هذه الأيام لمصطلح جديد هو "العالمية" أو "العالمانية" وهذا مصطلح مغلوط أيضاً ، وأفضل ترجمة بنظرنا إلى هذه الكلمة هي "الردة" و "المرتدون" وهو أكثر تعبيراً وأدقُّ وصفاً لنابتة السوء هذه .

- البيان -

خواطر في الدعوة

أصحاب العقل المعيشي

محمد العبدة

لا شـك أن الحزب الأكبر داخل المجتمعات الإسلامية في هذه الأيام ، هم من وصفهم ابن القـيم بـ(أصحاب العقل المعيشي) الذين يقلقهم دائماً التفكير بكيفية رفع مستواهم المعيشي، أو كـيـفية المحافظة على هذا المستوى .

ترى أحدهم يفكر ليل نهار في هذه الأمور، ويتعب نفسه لـيل نهار بغية الوصول إلى مستوى يضاهي أصدقاءه وجيرانه، فالأحاديث دائماً عن المسكن والملبس ، وعن السيارة والأثاث والراتب.

هؤلاء جمهور كبير، قد ألفوا هذه الحياة وعاشوا على هامشها . تتقطع بهم الأيام والليالي، بلا هدف ولا رسالة ، فهل يستطيع الدعاة نقل هذا الصنف من الناس إلى الطرف الآخر ، أو بالأصح الانتقال بهم تدريجياً ليصبحوا أصحاب مبدأ ورسالة والتزام؟

ليس عسيراً نقل بعضهم على الأقل، وذلك عندما تُغشى مجالسهم، ويـسـمـعـــون التذكير الـبـلـيـغ والـمـوعـظـة المؤثرة، وبيان عظمة الله في خلقه وأمره، وآياته في الأنفس والآفاق، وأحاديث اليوم الآخر، ومصائر الشعوب والأفراد . من العصاة قديماً وحديثاً وبيان محاسن الإسلام .

إن من الضروري للدعـــوة أن تنتقل إلى صفوفها أعداد غير قليلة حتى تفرض نفسها على أرض الواقع، ومن الضروري أن ينتقل إليها من كان عدواً لها بالأمس أو مُهملاً لها،فهؤلاء ربمـا يـكــونـون أنـشــط وأقوى لأنهم يريدون تعويض ما فات من التقصير والنقص، هناك أساليب كثيرة - غير ما ذكرنا - لاجتذاب أمثال هؤلاء أو بعضهم ، ولكننا نحن المقصرون في تجديد الوسائل الدعوية واستنفاذ كل الجهود للاتصال بجماهير الأمة ودعوتها للالتزام بدين الله .

لقد سمع أحدهم حبر الأمة ابن عباس - رضي الله عنهما - وهو يفسر سورة البقرة في أيام منى ، فقال : لو سمعها اليهود والنصارى لأسلموا ، وذلك دليل على أن العلم بكلام الله ووضعه مواضعه الصحيحة قد يؤثر في أشد الناس عُتُوّاً ، وخاصة إذا خرج الكلام من قلب خالص يملؤه الاهتمام بأمر المسلمين .

نقد

أخطار النزعة المادية في العالم الإسلامي نقد كتابات جودت سعيد (3)

عادل التل

إن الـخـطـورة في تبني المنهج المادي ، لا تـنـشـأ مـن خلال الانتماء الاعتقادي لهذا المنهج كشعار فحسب، وإنما تكمن في الآثار والنتائج الـتي تترتب على

هذا الانتماء، حيث تعتبر هــذه الآثـــــار من مستلزماته الأساسية، ويتضح هذا الأمر من خلال التطبيق العملي لهذا المنهج في واقع الحياة . لأن الالتزام بالمنهج المادي ، يفرض على معتنقيه التزامات أخرى تقوم عليه ، وترتبط به ارتباطاً كاملاً لا تنفك عنه .

وبما أن جودت سعــيد من المنتمين لهذا المنهج - كـمــا أثبتنا هــذا من قبل - فإنه يدعو صراحة للتمسك بأســس هذا المنهج ، والرجوع إلى هذه الأسس عـند التنازع أو الاختلاف حيث يقول: "إن الـوجـود الخارجي للمادة أو المجتمع له حقيقة واقعية، يتفاوت تصاور الناس لها حسب خلفـيـاتهم الفكرية، وعـنـد الاخـتـــلاف يـتـم الـرجـــوع إلى الوجـود الخارجي"(1) . والمـقـصــود بالوجود الخارجي هو الوجود المادي أو المادة وهذا يمثل لبَّ النظرية الماركسية ، وبما أن النظرية الماركسية تقوم على أُسُسٍ محددة لا تنفك عن بعضها ، وهي المادية الجدلية والمادية التاريخية ، وشملهاً قوانين تطور المجتمع ، فإن عزل أي جانب منها للعمل به منفرداً ، لا يفيد في قطع الصلة بأصل النظرية المـاركـسـيـة وفي هــذا يقول ستالين : "إن المادية الديالكتيكية ، والمادية التاريخية تظهران كعِلم واحد وكفلسفـة متكاملة ، فلا المادية التاريخية معقولة بدون المادية الديالكتيكية ، ولا المادية الديالكتيكية ممكنة بدون المادية التاريخية.."(2) ، وبناء على ذلك فإن أي أصل من أصول الـنــظــرية الـمـاركسية لا يكون صواباً على أي حال ، لأن كل أصل منها يقوم على المادية ، يـقــول لينين : "إن هذه الفلسفة الماركسية المسبوكة من قطعة فولاذية واحدة ، لا يمكن انتزاع أي منطلق منها ، ولا أي جزء جوهري واحد دون الخروج عن الحقيقة الموضوعية"(3) .

ونستطيع هنا أن نميز قاعدتين بارزتين يتسم بهما فكر جودت سعيد بشكل خاص، والفكر المادي بوجه عام .

1- قاعدة التغيير الكلية .

2- قاعدة التطور العامة .

وتـمـثل هاتان القــاعــدتان المحور الأساسي الذي تقوم عليه كتب جودت وأفكاره كلـها، وسنـتـناول في هـــذا البحث بعض التطبيقات العملية لقاعدة التغيير ، ونرجئ البحث في موضوع التطور إلى حلقات أخرى.

قاعدة التغيير الكلية :

يربط هـذه القاعدة بمفهوم المشيئة ويجعل مشيئة الله تابعة لمشيئة البشر حيث يقول:"كما قــلــب قوله تعالى : ((إنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)) [الرعد 11] مفهوم الـنــاس عن التغيير الذي كانوا ينتظرونه من الله ، ويرى البشر أنفسهم مثل الطين بيـدي الـخــزاف ، تقيدهم الأقدار ، قلبت هذه الآية الفكرة رأساً على عقب ، فردت عمـلـيــــة التغيير إلى البشر واعتبرتهم مسؤولين عنها"(4) . وفي هذا يقول أيضاً : "قلنا فيما سبق أن الله يـخــلــق الصفات في المادة - ونكمل الموضوع الآن ، بأن نبين أن الله يخلق

الأفعال من الأفكار.. فمَن تمكَّنَ من معرفة الخواص التي يخلقها الله تعالى في المواد ، يمكنه أن يسيطر عليها ، كذلك من تمكّنَ من معرفة الأفعال التي يخلقها الله تعالى مما بالأنفس ، يمكن أن يسيطر على المجتمع"(5) . وعن هذه الحالة يصف الشيوعيين الماركسيين أنهم : "لمحوا قدرة الإنسان على صنع التاريخ والقيام بعملية التاريخ"(6) .

إن الـتـعـامل مع الإنسان من خلال الأسس المادية - كما يرغب جودت - وقياس خواصه عـلـى خـــواص الـمـادة ؛ وإخضاعه لما تخضع له من قوانين ، فيه إغفال لتكريم الإنسان وتميزه عن سائر المـخـلـوقات، ومن خلال هذه المبادئ تعامل النظام الماركسي في روسيا مع الناس وأخـضـعـهم لقوانين قــسـرية كالتي تخضع لها المادة فكان العذاب والشقاء ، وكان التنكيل والقتل لمن يرفض هذه القوانين المادية الجائرة التي تُفْرَضَ على الناس بالقوة .

ثم يقول مُبَيِّناً حقيقة التغيير المطلوب:"يفيد أنه يمكن أن توضع في النفس الأفكار ابتداء ، كما يمكن أن يرفع ما فيها من مفاهيم، ويوضع فيها أخرى، وهذا أهم ما في عملية التغيير، مــن إنشاء الأمر ابتداء ، ومع ذلك أسند الله للبشر هذه القدرة في إزالة المفاهيم واستبدال غيرهـــا بها"(7) . كما يقول في أكثر من موضع عن البشر : إن مصائرهم بأيديهم ، وكما تلتقي هذه الأفكار مع آراء الماديين الماركسيين ، فإنها تلتقي أيضاً مع آراء "فرقة القدرية" المعروفــة في تاريخ علم الكلام ، وقد انتصر جودت هنا لأفكار هذه الفرقة ، وتعرف هذه الفرقة بمصطلح آخـــر هو "مذهب الاختيار" وذلك في مواجهة "مذهب الجبر" الذي بدأ ينتشر في ذلك العهد ، وقد جعل جودت موضوع الصراع يدور حول (الجبر والاختيار) في حرية الإنسان ، وأغفل منهج أهل السنة الذي يقوم على إثبات المشيئتين ، وتقديم مشيئة الله على مشيئة البـشـــر ، وفي هذا يقول ابن تيمية : "أثبت الله "المشيئتين" مشيئة الله ومشيئة العبد ، وبين أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب" . ثم ذكر ابن تيمية قوله تعالى: ((فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إلَى رَبِّهِ سَبِيلاً * ومَا تَشَاءُونَ إلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً)) [الإنسان 3](8) . وقال ابن تيمية أيضاً : "الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسـبـاب أن تـكـــون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع، فعلى العبد أن يكون قلبه معتمداً على الله لا على سبب من الأسباب ، والله ييسر من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة"(9) . أي :»أعقلها وتوكل«(10) . ومن الممكن أن نلخص الرد على هذا الجانب بمثال عن حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذا يشهد لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع ، وهو أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان حريصاً على هداية عمه أبي طالب وألحَّ في دعواه ، حتى نزلت الآية : ((إنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ))(11) . ولو كان تغيير ما في النفس مما يملكه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما تأخر عن تغيير ما بنفس عمه

من الضلال إلى الهدى . فإذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يستطع أن يهدي عمه أو يغير ما في نفسه فكيف يمكن لجودت سعيد أن يجعل مهمة تغيير المشيئة بيد البشر ؟ لماذا لم يـقــدر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يهدي عمه ؟ هل هذا عن عجز منه ، وعدم معرفته بالأفعال التي يخلقها الله تعالى مما بالأنفس ؟ أم أنه أغفل سنن التغيير التي اكتشفها جودت سعيد والماركسيون من قبله ؟؟..
لن يملك جودت ولا أصحابه الماديون ولا جميع علماء النفس والاجتماع الذين يُعْتَدُّ بهم أن يغيروا ما في قلب إنسان من الهدى إلى الضلال، ولا أن يبدلوا ما في قلب إنسان من الضلال إلى الهدى إلا بمشيئة الله ، قال تعالى : ((فَإنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إنْ عَلَيْكَ إلاَّ البَلاغُ)) [الشورى 48] ، وبحث هذه الـمـسألة سيكون بصورة أشمل في الفصل الخاص بموضوع المشيئة ، وإن ما ذكرناه في هذه المقدمـة إنما هو توطئة لبحث جوانب أخرى من قاعدة التغيير .

تغيير مصادر المعرفة :

يقصد بتغيير مصادر المعرفة : تغيير مصادر العلم ، يقول ابن تيمية "أصول العلم ثلاثة : الحس والعقل ، والخبر المركب منهما ؛ كخبر الأنبياء عن طريق الوحي" ، ولكن جودت يجعل مصدر المعرفة في التاريخ وحده ، حيث يقول في ندوة تلفزيونية : "اسمحوا لي أن أقول : إن الإسلام يعتبر التاريخ هو مصدر المعرفة ، مصدر العلم ، وأقول إن سبب انقطاع الوحي - ختم النبوة - بأن التاريخ صار مـصــدراً للمعرفة ، وهذا النظر أعتبره فلسفة جديدة وقديمة في آن واحد ، لأن التاريخ ، هـــو الذي إذا شهد لأحدٍ استحق شهادة صحيحة ، وإذا شهد على أحد أيضاً فهو الذي يَخْرُجُ من التاريخ .."(12) .
ويظهر في هذا الحديث - أنه يعتبر وظيفة القرآن قد انتهت ، وأن التاريخ هو مصدر المعرفة الذي يُعْتَدُّ به ، وأن شهادته ذات اعتبار وتأثير، وبناء على هذا التصور يذكر قاعدة التغيير في مصدر المعرفة، وأنها ليست من القرآن فيقول: "أي: أن الذي سيعلمنا ليس القرآن، وإنما نفس حوادث الكون - والتاريخ هي التي ستعلمنا"(13) .

تغيير مصادر الأدلة :

لما تقرر عند جودت استبعاد دلالة النصوص الشرعية كمصدر من مصادر المعرفة التي تقدم الحقيقة الموضوعية كان طبيعياً أن يحاول تغيير مصدر الأدلة أيضاً ، فعند تفسير قول الله تعالى: ((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ)) [الشورى 17] ، يقول: "هذه الآية تنقل أدلة موضوع الفكر الديني الذي تُقَرِّرُهُ آيات الكتاب ، تنقل مصدر الأدلة مـــن آيات الـكـتــاب إلى آيات الآفاق والأنفس ، وهذه النقلة البعيدة المدى لم تكن البشرية مهيأة لها إلى الآن . وانعدام هذه النقلة أو عدم القدرة على التكيف

هو الذي جعل مصدر أدلة العلم والإيمان مختلفة في أذهان العالم المعاصر . فجعلوا الدين غير العلم ، وأن مصدر العلم من الواقع ، وأن مصدر الدين من الغيب ، فهذه الآية بهذه النقلة التاريخية التي لم يقدر البشر على تفهمها ، تدمج الدين دمجاً كاملاً في العلم الواقعيِّ في المحيط الإنساني ليكون موضع تأمل الناس "(14) . أليس من حقِّ المسلم أن يتساءل إلى أيِّ مدى يريد جودت أن يغير مصادر الأدلة في هذا الدين ؟ لو كان هذا التبديل ضرورياً ، لَبَيَّن النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - لنا ذلك ، وقد قال الله تعالى له : ((ونَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وهُدًى ورَحْمَةً وبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)) [النحل89] . يبين جودت السبب في جعـــل الأدلة من خارج القرآن حيث يقول : "هذه الآية ؛ آية الآفاق والأنفس قَلَبَتْ مكان الدليل ومصدره ، كما قلبت آية التغيير مفاهيم الناس ، فآية الآفاق والأنفس حدَّدَتْ مكان الـــدليل ومصدره بأنه ليس الكتاب ، فلا نطلب كيف بدأ الخلق من الكتاب ، وإنما نطلبه مـــن السير في الأرض والنظر ، كما أمر بذلك الكتاب فالحكم في الكتاب ، والدليل في الواقع والأرض وآيات الآفاق والأنفس"(15) .

من أين جـــــاء بهذا الحكم الذي يُلغي مكان الدليل في القرآن فيجعله في آيات الآفاق والأنفس، والآية لا تشير إلى هذه الفكرة، وليس لها هذا المنطلق ولا يمكن فهم ذلك الأمر من نصَّها ، وقد جعل القرآن آيات الآفاق والأنفس تأكيداً وتوضيحاً ، ولم يجعلها تغييراً ونقلاً ، والله تعـالى يقول لنا: ((فَإن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللَّهِ والرَّسُولِ إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَـــــوْمِ الآخِرِ)) [النساء 59] ، ثم يأتي جودت سعيد فيقول : ردوه إلى الوجود الخارجي المادي ، أو إلى آيات الآفاق - العلوم - وإلى آيات الأنفس - علم النفس - ويجب أن نعلم أن هناك إجماعاً عند المسلمين على أن المرجع عند الاختلاف هو كتاب الله وسنة رسوله ، كما أن منهج السلف الصالح هو المعتمد في فهم الكتاب والعمل بالسنة .

إن تقرير هذه النقلة بـهـــذا الأسلوب ، يقطع الصلة بين المسلمين ومصدر علمهم ومنهج معرفتهم ، كما يفصل بين أحكام الكتاب وبين التطبيق العملي له في واقع الحياة ، وهذا يستدعي أن آيات الله تحـتـاج للتزكية والشهادة المستمدة من آيات الآفاق والأنفس كما يصور ذلك جودت .

يقول أصحاب النزعة العقلية : إن العقل هو الذي يشهد بالصدق والقبول لآيات القرآن والسنة ، وبهذا جعلوا العقل حَكَماً على الدين ، كما يقول محمد إقبال : "ومما لا شك فيه أن للفلسفة الحق في الحكم على الدين"(16) .

ويقول أصحاب النزعة المادية : إن آيات الكتاب لا تؤدي دوراً ، وإنَّ الواقع أو التاريخ وآيات الآفاق والأنفس هي التي تشهد لآيات الله بالصحة والثبات والقبول . وفي هذا يقول جودت : "في القضاء يطلبون البينة والأدلة والشهود ، والله يقيم على دينه وكتابه شاهدي عدل ، وهما آيات الآفاق والأنفس ، وهما شاهدان معتبران لهما حق الشهادة"(17) .

وقد يظن البعض أن هذه الشهـــــادة كما نتصورها - نحن - شهادة تأكيد وتأييد أو من العوامل التي تساعد الناس على فهم آيات الله في القرآن ، والاعتبار بها ولكن نلاحظ أنه يجعلها الحَكَمَ على آيات الله ، وكأن آيات الله لا تكفي لوحدها لبيان الحقّ وتقديم العلم . وها هو يقول : "وللمجادل أن يصادر آيـات الكتاب ، ولكنه لا يمكنه أن يصادر آيات الافاق والأنفس ، فمن هذا الجانب صــار دليل الدين دليلاَ عالمياً إنسانياً علمياً ، وليس دليلاً لطائفة معينة من الناس"(18) . وبهذا يعطي جودت الحق لأي إنسان في رفض آيات الله ومصادرة معناها باعتبارها ظنية . ويشير إلى ذلك ، عند وصفه للمعارف حين كانت ظنية : "حينما كانت المعارف ظنية وتابعة للأهـــواء، ولم تكن تشهد بها آيات الآفاق والنفس وكان النزاع يجري فيها ، ولكن حين قـــامت أدلتها من الآفاق والأنفس تغير الوضع"(19) .
وها هو يردد ما بثه المستشرقون في ديار الإسلام في بدايـــة الغزو الفكري ، وزعموا أن النصوص الشرعية ظنية الدلالة ولا تصلح لقيام الحجة والبرهان من خلالها وهذا طَعْنٌ في أصول الدين ، ويقول جودت في معرض تحديد مصادر جديدة للمعرفة ، وتعيين أصول جديدة للدين : "يذكر إقبال : إن هذه الآية جعلت آيات الآفاق والأنفس مصادر لمعرفة الحق ، فكأن هذا القول يظهر شيئاً جديداً في أدلة أصول الـديـن مـــن الكتاب والسنة والقياس والإجماع ، وبمقتضى هذه الآية، فإن آيات الآفاق والأنفس لها حق معرفة الحق وكشفه، وهذا الحق كشيءٍ مستنبط من الكتاب لا يؤدي دوراً كبيراً مثل قوله تعالى: ((قُلْ سِيرُوا فِـي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ)) [العنكبوت 20] ، ولكن حين يبدأ الناس يتعلمون كـيــف يتعاملون مع آيات الآفاق والأنفس فإن دلالة آيات الآفاق والأنفس تطلع ضوءاً مبحراً يحق معه أن يقال : طلع الصباح فأطفئ القنديل ، ولكن الذين ظلوا طويلاً في الظلام يصيبهم العشي من الضوء الساطع . وقد يرى بعض الناس في هذا الاتجاه خروجاً من الدين وتضييعاً له ولكننا نرى عكس ذلك .."(20) . نضع هذا النص الواضح في دلالته على تغيير مـصـــدر أدلة أصول الدين أمام أهل العلم ، ونسألهم : هل يمثل هذا الطّرح خروجاً من الدين أم لا؟!!
وأما قوله: "طـلـع الـصَّـبـاح فأطفئ القنديل" فإنه يمثل سُخرية واضحة للتفريق بين أدلة أصـــول الـديـن، وأدلة اللا أصول الجديدة التي اختارها واعتمد (آيات الآفاق والأنفس) بديلاً جديداً عن الأدلة الصحيحة.
وأخيراً فإن الـطـريـقة التي أعــرض بها آراء أصحاب النزعة المادية ونقدها وإبراز مواضع الانحراف فيها لا تــعـدو أن تكـــون نموذجاً لنقد مناهجهم ، فالهجمة على أصول الدين كبيرة وقد هيأ الأعـداء لـهـا من الأساليب والخطط ما يفوق التصور . يقول محمد أركون في معرض حديث عن مـواجـهـة الذين لا يزالــون متمسكين بالنصوص الشرعية: "نحتاج إلى مائة مؤسسة وثلاثين سنة للتمكن من زحزحة المسلمين عن التمسك بحرفية النصوص.." .

المراجع :

1- كتاب "اقرأ وربك الأكرم"،جودت سعيد،ص 226 .
2- المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، ص 129، من الترجمة العربية (منشورات دار دمشق) .
3- المؤلفات الكاملة ، لينين 14/132 .
4- كتاب : "اقرأ وربك الأكرم" ، ص 218 .
5- كتاب : "حتى يغيروا ما بأنفسهم" ، ص 77 .
6- كتاب : "اقرأ وربك الأكرم" ، ص 219 .
7- كتاب : "حتى يغيروا ما بأنفسهم" ، ص 59.
8- الفتاوى الكبرى لابن تيمية ، 8/238 .
9- المصدر السابق ، 8/528 .
10- أخرجه الترمذي (2649) ، بإسناد حسن عن أنس - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .
11- راجع القصة في فتح الباري .
12- ذكر هذا الكلام خلال ندوة في التلفزيون السوري بالاشتراك مع الدكتور الكردي محمد سعيد رمضان البوطي ، لمواجهة موضوع الصحوة الإسلامية .
13- رسالة انظروا ، اللغة والواقع ، جودت سعيد ص 8 .
14- كتاب : "اقرأ وربك الأكرم" ، ص 217 .
15- كتاب : "اقرأ وربك الأكرم" ، ص 221 .
16- كتاب : "تجديد الفكر الديني" ، محمد إقبال ، ص 7 .
17- كتاب : "اقرأ وربك الأكرم" ، ص 221 .
18- كتاب : "اقرأ وربك الأكرم" ، ص 222 .
19- كتاب : "اقرأ وربك الأكرم" ، ص 222 .
20- كتاب : "اقرأ وربك الأكرم" ، ص 223 .

تيار التجزئة والتفتيت

منصور بن زويد المطيري

حـينـما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهـــو بالمدينة: "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مـكــة أو أشد ، اللهم وصححها وبارك لنا في مـــدّها وصاعها" . وحينما رفع بلال عقيرته بالمدينة بعد أن نزعه الشوق إلى مكة :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة   بــواد وحــولي أذخر وجليل
وهل أردنْ يوماً مياه مـجـنّـة   وهل يبدونْ لي شامة وطفيل؟

لم يكن ذلك إلا تعبيراً عن شعور فطري يعـتــري الإنسان تجاه منبته وموطنه والدار التي درج فيها ، وترعرع في رباها ، وهو شعور يجده كل إنسان في

شتى بقاع العالم ، ليس فيه ما يُعاب أو يُذَمُّ بل هو من تمام المرؤة وكمال الخلق إلا أن هناك شروطاً لا بدّ من وجودها حتى لا يخرج هذا الشعور الفطري من المدح إلى القدح وهو أن يكون في حجم طبيعي بسيط . أما إذا تضخم هذا الشعور ونفخ فيه حتى يصل إلى حدود الولاء فإنه يتحول عندئذ إلى خصلة ممقوتة وصفة مذمومة من وجهة النظر الإسلامية .

والحـقـيـقــة أن هذا الشعور المتضخم تجاه الوطن أو الإقليم وُجِدَ في بلاد الإسلام في العصر الحديث بل إنه صـنـع وصدر إليها بغرض خبيث ، بعد أن كان شعور المسلمين في مختلف أنحاء العالم تجاه بلادهم المختلفة شعور فطري طبيعي مما يُحْمَدُ ويمدح .

إن الغرب بالذات صنع كثيراً من المبادئ والعقائد في أرضه ثم صدَّرها عامداً إلى أبناء العالم الإسلامي - والحق أنه لم يكن ليصدرها لو لم تكن عند المسلمين قابلية للاستيراد - يقول المستشرق اليهودي برنارد لويس معترفاً بالجريمة الغربية:"كل باحث في التاريخ الإسلامي يعرف قصّة الإسلام الرائعة في محاربته لعبادة الأوثان منذ دعــوة النبي - صلى الله عليه وسلم - وكيف انتصر النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحبه وأقاموا عبادة الإله الواحد التي حلت محل الديانات الوثنية لعرب الجاهلية ، وفي أيامنا هــذه تقوم معركة مماثلة أخرى ولكنها ليست ضد "اللات" و "العزى" وبقية آلهة الجاهلية بل ضد مجموعة جديدة من الأصنام اسمها : الدولة والعنصر والقومية . وفي هذه المرة يظهر أن النصر حتى الآن هو حليف.. الأصنام !! فإدخال هرطقة القومية والعلمانية أو عبادة الـــذات الجماعية كان أرسخ المظالم التي أوقعها الغرب على الشرق الأوسط - ولكنها مع كـــل ذلك كانت أقل المظالم ذكــراً وإعــلانـــاً "(1). وليس من العجيب أن يحرص الغرب على تفتيت وحدة المسلمين، فقد كانت العقبة الكأداء في وجهه إبان استِعَار الاستعمار ، حيث كانت الجامعة الإسلامية كفيلة بأن تثير حمـية الهندي والفارسي والأفغاني والتركي والعربي وكل مسلم وسيلبون النداء حين يدعو داعيه .

ومن المعلوم أن انتشار الإسلام فـي بقاع الأرض ضمّ في إطاره الكثير من الأعراق والشعوب والبلاد ، وكتب لهم تاريخاً جديدا وبتَّ الصلة بما كان قبله ، ورتَّب حياتهم على أساس الولاء للإسلام وحده ، وكوَّن من كل هذه الأعراق أمة واحدة تَتَّفق في الاعتقاد وفي التشريع المنظم للحياة الروحية والمادية، وقـــد كـــان الإسلام هو السِّمة الأساسية لهذه الشعوب والأعراق التي تكونت في رحابه ، وتحت حـكـمـه وفي ظله . وعلى ضوئه قام المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية ، وأصبحت اللغة العربية وعلومها وآدابها تاجاً يتزين به كل عالم في هذه الأمة من العرب أو من غيرهم ؟ بـــل لقد برز غير العرب كعلماء ترجع إليهم الأمة في مختلف المعارف ، وكانت الأعراق تكّون أمه واحدة إذا اشتكى منها عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ومع مرور التاريخ استلم قيادة هذه الأمة الإسلامية خلفاء بني عثمان ، وساروا بها في جزء كبير من تاريخهم من نصر إلى نصر . وكانت دولتهم في أول أمرها فتية ثم اشتد عودها ثم شاخت في نهاية أمرها لتعود رجلاً مريضاً يدفن بمرضه، ويردم الأعداء التراب على قبره، ليتردد بعد ذلك في الأرجاء النواح والعويل والجزع والذهول يشارك الجميع أحمد شوقي(*) في مرثيته للخلافة :

عـادت أغـاني العـرس رَجْع نُواح ونُـعـيـتِ بـيـن معالم الأفراحِ
كُفِّنْت في ليل الزفـــافِ بـثـوبـــه ودُفِنْت عـنـد تـبَـلُّـج الإصباحِ
شُـيِّـعـتِ مــن هَـلَـعٍ بِعَبْرةِ ضاحكٍ فـي كـل ناحيةٍ وسكرةِ صاحِ
ضَـجَّـتْ عـلـيـكِ مـآذنٌ ومـنـابـــرٌ وبَـكَـتْ عـلـيك ممالكٌ ونُواحِ
الـهـنـد والـهــةٌ ومـصـــرُ حزينةٌ تبكي عليك بمدمعٍ سَحَّـــاحِ
والـشـــامُ تـسألُ والعراقُ وفارسُ: أمَحَا مِنَ الأرضِ الخلافةَ ماحِ

لقد تحققت إرادة الأعداء في تفتيت وحدة هذه الأمة ، ولكن لم تحققت إرادة الأعداء؟

وكإجابة على هذا السؤال سنشير فيما يلي وفي عجل إلى عامل واحد أدى إلى فقدان الأمة الإسلامية لوحدتها وهو ظهـــور النزعات الإقليمية والقومية .

لقد انتقل كثير من المفاهيم الغربية إلى بلاد الإسلام عن طريق الاحتكاك الثقافي ، وعن طريق الزرع المقصود . ومن هذه المفاهيم ، القومية . وهي مفهـوم برز في المجتمعات الغربية بشكل واضح وقوي في القرن التاسع عشر ، وهو يهتم بخلقِ وعـــي جديد يمجَّد جماعة محدودة من الناس ، يضمها إطار جغرافي ثابت ، ويجمعها تراث مشترك وتنتمي إلى أصول عرقية واحدة "وهذا الوعي القومي على درجات ، ويبدأ من مرحلة العاطفة الوطنية أي حب البلد الذي تتفتح فيه عينا الإنسان للنور ، بلد الآباء والأجداد ، بلده الذي يحنُّ إليه إذا نأى عنه ، ويحميه إذا اعتُدِيَ عليه.. وينتهي بمرحلة التفكير القومي وليس لهذه المرحلة حدّ ، ولكن المراد منها هو جمع شمل أبناء القوم الواحد، ولمّ شعثهم، والخلاص من الأجنبي الذي يرزحون تحت نيره إن وجد ، وإنشاء دولة مستقلة تضمُّ تحت لوائها مَنْ تجمعهم وحدة الأفكار والمصالح والعواطف والذكريات والرغبة في العيش المشترك ضمن إطار جغرافي معين تحدده في الغالب اللغة القومية"(2) .

وروح القومية هي الشعور بالتشابه من ناحية ، والشعـــور بالامتياز عن الغير من ناحية أخرى . فالشعور بالتشابه به يؤدي إلى عاطفة التضامن والتآلف والتناصر بين أعضاء الأمة الواحدة ، وهو الذي يقرِّب بين طباعهم وأمزجتهم وآرائهم ، ويشكِّل عامل توحيد وجذب بينهم .

والشعور بالامتياز ينمِّي الشعور بالكرامة الوطنية والشرف القومي والحسّ بالمصير القومي، وينمي الرغبة في تأكيد صفات الخلق القومي وفرضه على

مـــــرأى ومـسـمـع من العناصر الأجنبية الأخرى ، فهو الذي يحملهم على منافسة الغير وبذل أقصى الجـهـد في سبيل التفوُّق .
هذه الفكرة وُجِدَتْ في بلاد المسلمين أول ما وجدت في دار الخلافة الإسلامية تركيا فـقـد تســربت إليها من أواسط وشرق أوربا عبر قنوات عديدة منها أن اللاجئين البولنـديــين والمجريين نقلوا معهم هذا المبدأ بعدما لجأوا إلى تركيا بعد فشل ثورتهم سنة 1848م. فلقد بقي قسم كبير منهم فيها واعتنقوا الإسلام واحتلوا مناصب هامة في الدولة العثمانية. وكان أحدهم الكونت بورزيسكس الذي سمى نفسه بعد ذلك مصطفى جلال الدين باشا قد نشر كتاباً بـعـنــوان "أتراك الأمس وأتراك اليوم" وفيه جزء عن تاريخ الشعب التركي القديم يوضح الدور الإيجابي الخلاّق للأتراك في التاريخ وقد كرَّس بورزيسكي جهده لإثبات أن الأتراك هم مــــن العرق الأبيض مثل شعوب أوربا ، وينتمون لما أسماه العرق "الطوراني - الآري". ويقول برنارد لويس: "ولقد عمل الكونت بورزيسكس على نقل القومية البولندية ووضعها في قالب تركي وساعده على هذا العمل ما عرضه من أعمال المستشرقين الأوربيين الباحثين في الشؤون التركية ، ولقد وصلت نتائج أبحاث هؤلاء إلى المجتمع التركي عن عدة طرق ، وكان لها تأثير هام على الذهنية التركية خصوصاً في تقدير التركي القديم ، والاعتقاد بالهوية المميزة والـمركز اللائق في التاريخ ، ولقد كان الأتراك أكثر من العرب والعجم نسياناً لتاريخهم الـمـاضـــي فقد كانوا لا يفكرون بأية هوية أخرى غير الهوية الإسلامية ، ولكن المستشرقين . . ساعدوا الأتراك على استعادة هويتهم القوية الضائعة "وعلى الدعوة إلى حركة قومية جديـــدة"(3) . وبمثل هذه الأساليب تعزَّز عند جزء من الأتراك هذا الشعور القومي ، وأدى بـعد ذلك كواحد من عوامل كثيرة إلى نشوء القومية العربية .
لقد كان لغير المسلمين جهد واضح وأثر فعال في ترسيخ الانتماء القومي الذي يستند على العلمنة كإطار مبدئي . ولنستمع إلى ما يقوله إبراهيم اليازجي وهو يستنهض همم العرب ويدعوهم إلى إحياء أمجاد آبائهم ويحثهم على الثورة على الترك :

دع مجلس الغيد الأوانس وهوى لواحظها النواعـس

إلى أن يقول :

ودع الـتـنـعـم بالمـطـا يـا والمـشـارب والـمـلابس
أي النعيم لمن يـبـيـت على فراش الـــذل جالس
ولـمن تراه بـائــســاً أبداً لذيل الترك بائس**
ولـمـن أزمته بكـــــ ف عـداه يُـظلم وهو آيس

إلى أن يقول داعياً العرب إلى الثورة على الترك كما فعلت شعوب البلقان:

مـاذا نـؤمـل بـعــدهـم إلا مـقـــارعـة الـفـــوارس
فإلـيـكـم يا قـوم واطـَّـ ـرحـوا المؤانــس والمـدالـس
وتشـبهوا بفــعال غيــ ـركم من الـقـوم الأحـامــس

بـعـصـائـبَ اتفقوا فجا دو بالـنفـوس وبالـنـفـائـس
تركوا جموع الترك يقــصفُ فوقها الركب الروامس
فالـتـرك قـوم لا يـفـو ز لـديـهــم إلا الـمـشــاكس

وفي آخر القصيدة يظهر الشاعر الوجه العلماني للقومية العربية :

ودعوا مقال ذوي الشـقــا ق من الـمشايخ والقمايس
ما هم رجال الله فيــــــــ ـكم بل هُمُ القومُ الأبالس
فالشر كل الشر مـــــــــا بين العـمـائـم والقلانس

وله قصيدة بائية أخرى لها نفس الغرض ختمها بقوله :

صبراً هيا أمة الترك التي ظـلـمـت دهراً فعما قليل تُرفع الحجبُ
لنطلبنّ بحد الـسـيـف مأربـنــــــا فـلـن يخيب لنا في جنبه أربُ

يقول مؤلف كتاب الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة "وقد سبق المسيحيون العرب المسلمين منهم إلى التحسس بالشعور القومي ، وإلى المجاهرة بالحركة القومية . ففي بداية القرن التاسع عشر دخل المذهب البروتستانتي إلى البلاد العربية وترجم الإنجيل إلى اللغة العربية ، وأخذت طوائف الروم الأرثوذكس في بلاد الشام تطالب بتعريب كنيستها - وكانت الكنائس الكاثوليكية بما فيها الموارنة قد استقلت عن روما وصار لها بطاركة ، وخوارنة من العرب وغدت لها مدارسها العربية، وتـخــــــرج من المعاهد التي أنشأتها الإرساليات التبشيرية والطوائف المختلفة رواد الحركة القومية العربية"(4).

ويقول : "وعلى يد العرب المسيحيين تشكلت أول الجمعيات السرية العربية ، التي ندَّدت بالحكم التركي وطالبت باستقلال الولايات العربية عن الدولة العثمانية"(5) .

وكما هو معروف فقد لعبت القومية العربية بعد ذلك بسنين دوراً أساسياً في الساحة شَهِدَهُ الجميع . والحقيقة أن هناك ما هو أخطر من القومية على وحدة المسلمين ويتمثل في تيار الإقليمية الوطنية بمعنى حب الوطن والولاء له . وهو مفهوم حديث لم يعرفه المسلمون من قبل ، وقد ورد إلى العالم الإسلامي قبل المفهوم القومي . وكان أول من دعا إلى الوطنية بهذا المفهوم رفاعة الطهطاوي ، فمثلاً يقول في أحد كتبه : "فقد أجمع المؤرخون على أن مصر دون غيرها من الممالك عَظُم تمدُّنها وبلغ أهلها درجة عـالـيـة فـي الفـنـون والمنافع العمومية ، فكيف لا وأن آثار التمدن وأماراته وعلاماته مكثت بمصر نحو ثلاثة وأربعين قرناً ، ويشاهدها الوارد والمتردد ، ويعجب من حسنها الوافد والمتفرج . مع تنوعـهـا كل التنوع ، فجميع المباني التي تدل على عظم ملوكها وسلاطينها هي من أقوى دلائل العظمة الملوكية وبراهينها"(6) ، وقد تطورت مثل هذه الفكرة بعد ذلك حتى أصبحت دعوة شعبية شعارها "مصر للمصريين" .

وكما يقرر المستشرق لويس فإن مصر كانت "البلد المسلم الوحيد الذي تقدمت فيه فـكــرة الوطنية المحلية وكان ذلك بسبب عوامل عدة :
1- مصر بلد واضح المعالم الجغرافية والتاريخية .
2- كان فيها عائلة حاكمة قوية مصممة على إتمام الاستقلال "يقصد الانفصال عن تركيا".
3- تـاريـخ قـديـم رائــع اكـتشـفـت آثاره منذ مدة وهو من أهم العوامل التي يستند إليها الافتخار بالوطنية"(7) .
وفي سبيل ترسيخ الشعور بالوطنية في بلاد المسلمين نشط الاستشراق بشكل فعال في بعث التاريخ السابق على الإســـــلام في كل بلد من البلاد الإسلامية وأفلح في تأسيس هيئات للإشراف على عمليات التنقيب عن الآثار وإنشاء متاحف وطنية ، وكان الإشراف على هذه العمليات في يد الغرب فقد أشرفت فرنسا على بحوث الآثار في مصر وإيران، وأشرفت بريطانيا على الهند ، وأشرفت إيطاليا على آثار ليبيا. وبعد الاستقلال تغيرت الأوضــاع واستلمت الحكومات الإشراف على هذه الآثار ولكن الذي حدث "هو أن عالم الآثار الغربي في كل دولة من تلك الدول قد ساعد في إعداد قانون خاص بالآثار للبلد الإسلامي الذي يعمل فيه ، وأصبح مستشاراً لموظف وطني عين من حكومته مديراً لمصلحة الآثار"، وكان الغرض من هذا كله أمرين:
الأول : إحياء التاريخ الميت للبلاد الإسلامية ومحاولة بثه في شعور أهل كل بلد بحيث يحصل اعتزاز وافتخار بالانتساب إلى مثل هذه الحضارات ، والشعور بهوية متميزة ، فالمصريون أحفاد الفراعنة والسوريون أحفاد الفينيقيين ، والعراقيون أحفاد الآشوريين والبابليين، والمغاربة أحفاد البربر، وأبناء الجزيرة العربية أحفاد العرب الأقحاح وهكذا.
الثاني : إضعاف دور الإسلام حيث تعطي مثل هذه البحوث التاريخية انطباعاً عاماً بأن الإسلام مرحلة من مراحل حضارة البلد ، سبقته حضارات وستتلوه حضارات . وما هو إلا حلقة ضمن هذه الحلقات يعتز به كما يعتز بغيره ، والولاء في النهاية للوطن الذي أبدع كل هذا .
وعلى كــل حـــــال لم تكن هـذه الجهود لتؤتي أُكُلها في تجزئة بلاد المسلمين لولا القوة الاستعمارية التي فـرضـــت هــذه التجزئة ، فكما يقطع الجزار ذبيحته قطعة قطعة فعل الاستعمار بالدولة العثمانية فعل الجزار ، فالبلاد الواقعة تحت سيطرة العثمانيين قُسِّمت إلى عشرات الأجزاء ولم يكن ذلك لتعدد المستعمرين ، بل كانت العملية واعية ومقصودة هدفها التمزيق إلى أقصى درجــة فـالــــذي حدث "أن المناطق التي وقعت تحت سيطرة الاستعمار الواحد جزئت تجزيئاً ، فلبنان انفصل عن سوريا ، وكلاهما تحت الانتداب الفرنسي ، والأردن فصل عن فلسطين ، وفصل العراق على حدة ، وكذلك دول الخليج ومصر والسودان وكلها كانت تحت نفــــوذ الاستعمار البريطاني ، الأمر نفسه بالنسبة للمغرب العربي الكبير الذي تجزأ وكان أغلبه

تحت السيطرة الفرنسية"(9) . كما عُزِلَتْ البلاد التي لم تدخل تحت الولاية العثمانية حيث عُزِلَتْ إيران على حدة، وأفغانستان على حِدَةٍ، والمناطق الإسلامية في آسيا الوسطى كل منطقة على حدة، والهند على حدة.
انتهت خطة التجزئة بالعدد الذي نراه من الدول في العالم الإسلامي ، وبالحواجز التي نشاهدها بين أبناء الأمة الواحدة، وقد تكوّنت في كل بلد مع الأيام أنظمة وقوانين خاصة، ودساتير متنوعة، ووُجِدَ في كل بلد أصحابُ مصالح في إبقاء الوضع وإدامته، ونشأت افكار وعقليات وطـنـيـة خاصة بكل بلد، ونـشـأت مـحـظـورات عالمية يُحَرَّمُ المساس بها "سيادة الدولة" و "سلامة أراضي الإقليم" و "حرمة الحدود" و "تخطيط الحدود" وعدم التدخل في "الـشـــؤون الداخلية" وإقامة "الدولة العصرية" أو "الاشتراكية" أو "التقدمية" وغيرها مما يكرِّس واقع التجزئة . ومن ناحية أخرى فعلى كلّ بلـــد أن يُسَيِّرَ أموره حسب إمـكـانـاتـه حتى ولو سارت الأمـــور عكس ما هو معقول بالنسبة للأمـــة الواحدة، فكم من بلد يملك القدرة البشرية ولكنه لا يملك المال ، وكم من بلد يملك المال وتنقصه القدرة البشرية، وكم من بلد يملك الإمكانات الاســتـراتيجية ولكنه لا يملك الـمال أو البشر، فمثلاً : "أكثر من ثلثي الأراضي العربية الصالحة للزراعة تقع في خمسة أقطار عربية، ومعظم النفط العربي يكمن في خمسة أقطار عربية، وإن ثلاثة أقطار عربية يتركـــز فيها أكثر من نصف سكان الوطن العربي، وإن عشرة منها يتركز فيها 90% من السكان"(10) . هذا على نطاق العالم العربي فما بالك بالعالم الإسلامي .
لقد كان الأمر يسيراً في البداية ولـم يـكـــن يسيطر واقع التجزئة على العقول بل كان يُنْظَرُ إليه على أنه حالة طارئة ، ولكن في الوقــت الـحــاضر أصبح الواقـــع يحظى بالقبول من الكثرة الأكثرية ويشكل الأساس في الفكر وفي الحياة الواقعية .
وفـي الخـتـــام فإن تنمية الوعي بأهمية وحدة المسـلـمـيـن كما يأمرهم الإسلام هي النقطة الأساسية الأولى في سبيل التغلب على الواقع . لقد نقلتهم الإقـلـيـمـية من القوة إلى الضعف ومن الغنى إلى الفقر ومن الأخوة إلى العداوة "كم هناك من الخلافات حـــول الحدود قابلة للانفجار في أية لحظة". وسـتـجـعـل لـهـــم الوحدة مكانة متميزة بين الأمم، وستوفر لهم مجالات أرحب للتنمية . وعلى كل حال فـــإن الواقع يفرض أن يقتصر الحديث في هذه المرحلة على التكامل الاقتصادي، وإنشاء سوق إسلامية مشتركة، والـتـقـــارب عن طريق المنظمات الإسلامية وأن شحَّت فاعليتها إلى أكبر حد ممكن . كما ينبغي أن تـيـسـر تنقلات المسلمين فيما بين دولهم ، ومن الأهمية بمكان وجود تكامل سياسي يدعم معنوياً ومـــادياً ويساعد على حل الخلافات بين دول العالم الإسلامي .

الهوامش :

*- انظر الشوقيات المجلد الأول ، ص : 105-109
**- بائس : مُقَبِّل .
1- برنارد لويس ، الغرب والشرق الأوسط ، تعريب : د. نبيل صبحي ، كتاب المختار ص 93 .
2- د. نور الدين حاطوم ، تاريخ الحركات القومية ، الجزء الاول دار الفكر ص 15 .
3- برنارد لويس ، المرجع السابق ، ص 111 .
4- علي المحافظة ، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت 1987 ، ص 29 .
5- المرجع السابق ، ص 130 .
6- المرجع السابق ص 122 .
7- برنارد لويس ، المرجع السابق ، ص 106 .
8- محمد محمد حسين ، الإسلام والحضارة الغربية ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ص 140.
9- منير شفيق ، الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر ، الزهراء للإعلام العربي ، الطبعة الثانية ، 1407 هـ ، ص 82 .
10- منير شفيق ، نفس المرجع ، ص 86 .
وانظر في الموضوع : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، محمد محمد حسين .

عودة إلي المعرفة

محمد بن حامد الأحمري

هل من المناسب أن نكتب عن التـعـلـم والقراءة في الوقت الذي يشهد العالم فيه نهاية دولة مسلمة ، وإلغائها من الأرض ودفن كــل المعالم التي قد تشير إلى مكانها في قادم الأزمان ؟ تكتب صحف العدو على صدر صفحاتـهـا "وداعاً البوسنة" ويقولون عن خطة الغدر التي كتبها أوين وفانس : "لقد أصبحت حبراً عـلـى ورق" على رغم كونها مأساة ، فقد سلبت المسلمين أرضهم ، ولكن تدهور الموقف فيما بعد جعل المسلمين يتمنونها . نكتب عن هذه القضية لأن الجهل أنشب مخالـبه في عقول وقلوب المسلمين ؛ في جامعاتهم ومدارسهم وكل مرافق حياتهم ، حتى إذا أرادوا أن يهـربوا من الجهل فروا إلى الحصول على الشهادات فزادتهم عماية وضياعاً وغروراً بجهلهم . ولا بـد قبل الاهتمام بالمعرفة من الاعتراف بالجهل ؛ وذلك بعرض بعض مظاهره عندنا .

إعـــادة سبب مصائبنا إلى البعد عن الدين والعلم - وهما في ثقافة المسلم متلازمان - تفسير صحيـح لمـا حل بنا، تفسير يقوله العدو والصديق، يقوله

الثعالبي عند خروجه من تونس، ويرى الحـــل في المدارس الشرعيـــة، ويرى أهميتها قبل القـتال، ويرى ذلك محمد علي السنوسي عندمــــا كان عائداً من الحـجــاز في طريقه إلى تلمسان بالجزائر، وجد بلاده قد وقعت تحت أيـدي الفرنسيين ولا يستطيع العودة إليها فيبقى في برقة يعلم الناس ويحثهم على التعلم ، ويـتابع إنشاء الزوايا السنوسية، ومن أهم أهدافها التعليم . ولمس هذا السبب كل من اتصل بهمــــوم الأمة وقضاياها من رجالها أو من أعدائها، فكتب الرحالة الغربيون وهم طلائع الاستعمار؛ كتبوا بكل سخرية واستصغار عن الجهل وترسخه في بلاد المسلمين. وكتبوا عن الخرافة والـكـرامــات والقــبـــور التي لها مكانة خاصة عند أصحاب المدن، ويتعجب من إيمان بعض المسلـمـيـــن بأن بعـض القبور والمشاهد تحكم العالم وتهيمن عليه وهكذا فرق السحرة وجيوش الخرافة .
الإعجاب المتناهي بالغريب والجـهتــل المتناهي به، جعل بعض المسلمين يكتب إلى الحاكم الفاشي الإيطالي موسيليني يخاطبه بحـــــامي حمى الإسلام والمسلمين، ولا نستغرب الذين قالوا أبشع من ذلك أو قالوا لن تتحرر فلسطين "حتى يرفرف فوقها العلم الأحمر" فانضموا إلى حزب راكاح الشيوعي الصهيوني ليـحـــرروا فلسطين من الرأسماليين اليهود وليحكمها الشيوعيون اليهود بدماء الأعراب . أما في البوادي فكان الحال أشنع فليس غريباً أن يقـف أعراب سيناء مع الإنكليز ضد الثوار المصريين مقـابـــل الذهب الذي دفع لهم، ثم اكتشفوا وبعد مناصرة بريطانيا أن الذهب الذي أعطي لهم كان مزيفاً (صفراً) .
وأعراب العراق كانوا يتلقون الأوراق التي تلقـيـهــــا الطـائــرات البريطانية والتي تحتوي تعليمات أو تحذيراً أو أوامر لهم ، فيظنون أن الطائرة فيها ثـقــب ولذلك يجمعون الأوراق ليعيدوها لهم لأنهم لا يقدرون على القراءة .
وكانت الرسالة تصل القرية فيمر بها صاحبها عدداً من القرى لا يجد من يقرأ له رسالته .
وهكذا آل مآل أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي قال لهم فيما صح عنه : "العلم فريضة على كل مسلم" [رواه ابن ماجه]، وتحولت وسائل التعليم والمدارس والجامعات في بلدان العالم الإسلامي إلى مواقع ينتشر فيها الجهل والتقليد، والعمل الإداري الروتيني، والسباق الساذج نحو الشهادات، وترك العلم الذي قيل إنها أنشئت من أجله.
فقد أصبح التعليم وسيلة للعيش فقط ، والتعلم طريق الشهادة التي تفتح باباً للعيش، وأنىّ للمدرس الذي يحيا هذه الظروف حوله أن يخلص مــــن هذه الكوابيس إلا من رزقه الله إخلاصاً وهمة وحمية لدينه وأمته .
إن الجامعات الغربية التي على مثالها أنشئت ما نـسـمـيـه جامعات في بلداننا تقوم بدور آخر، لا أقول كل جامعاتهم ولكن كثيراً منها يقوم بدور حـيــوي في حياة أمتهم، فتعلم الصناعات الكبرى تبدأ نظرية وتطبق أولاً في الجامعات،

حيث يطلب الجيش الأميركي أو الفرنسي تطويراً لجهاز ما ويتحدثون عن المشكلة الصناعية أو الجهاز الذي يريدون مع أستاذ في الجامعة وسرعان ما يقوم المدرس وعدد من تلاميذه وأكثرهم وللأسف من دول العالم الإسلامي بدراسة المشكلة وحلها ، وما هو إلا زمن يسـيــر حتى تنتهي وتتحسن الصناعة وهكذا بقية الشركات وأغلب المؤسسات العلمية العلم عندهم يعني العمل والتطبيق المباشر .

أما السياسة عندهم فهي علم يدرس في الجامعات ، يدرّسه مهرة يعيشون في موقع القرار في الدولة، أو عايشوا ذلك في الماضي، وهم على صلة قريبة جداً بكل ما يحدث ، وما تسمعه اليوم من خبر في وسيلة إعلام قد يكون موضع نقاش ودرس وبـحــــث عن السبب والحل في الجامعة والصحافة ، لأنهم كما قالوا : سياستهم علم وسياستنا كهانة .

إن الذي صاغ ورقة الحوار ونقاش السلام المصري -الإسرائيلي في عهد السادات أســتاذ في جامعة هارفارد ، صاغه مع تلاميذه وقسمهم إلى فريقين كل منهم مستوعب لقضيته يطالب بـحـقـه، والمدرس وفريق معه يدرس عملية الصلح حتى إذا تمت الدراسة ونجحت الفكرة طـبـقــــت على المتحاورين الإسـرائيليين والمصريين، ولم يجدوا صعوبة إلا مع الجــانـب الإسرائيلي؛ لأن "بيغن" لم يكن يقطع برأي حتى يشاور حزبه والكنيست، أما الـسـادات فيقول عنه "كارتر" إنه كان يعيد الأوراق موقعة وبسرعة ، حتى أن فـريـق السادات الذي كان معه لم يكن يقرأ أوراق المعاهدة هكذا قال عنه كارتر في كتاب "دم إبراهيم" .

وهكذا بإمكاننا نقل الأسماء والمصطلحات والاشكال والطقوس الجامعية أو الـبرلمانية، ولكن الـمـضـمـون يبقـى غــريباً عنا فالجامعة عندنا مكان نحصل منه على شهادة ولــو كاذبة، والمدرس في أي المستويــــات بعد حصوله على الشهادة يطلّق العلم طلاقاً بائناً ، ويـكـرهه ويكره ذويه ، ذلك أن مقـتـضـى الترك له البعد والكراهة . والبرلمانات مكانة اجتماعــيــة يتسابق الناس لها وليس لها تبعات ولا اعتراضات بل أدوات زينة وديكور بلا قرار، يندر فـيـهــم الدارس الجاد لمشكلات أمته الباحث عن الحلول ، ولقد قالت زوجة بوش تصف زوجها يوماً : إنه رجل دراسة لما كان ينفق من الوقت في قراءة ما يصله ، وعندهم للأسف أمثلة من رجال السياسة والمعرفة ما لا يوجد له قرين عندنا في زمن الانحدار ، إذ لا يمكن أن يهدي أمته جاهل أو ينتصر لها .

ولقد كـــان العلم دائماً رفيق الغلبة والجهل قرين الهزيمة ، لم يكن بعيداً أن ينتصر صلاح الدين وابـــن هبيرة يتنقل معه بعلمه وكتبه في الخيام من جبهة لأخرى ، وليس غريباً أن ينتصر الشيخ شـامل في داغستان على القياصرة ومعه مكتبته تحمل على الخيول . ويلخص أحد المؤرخين الـغـربيـين انتصارهم على المسلمين في بداية المرحلة الاستعمارية علينا نحن المسلمين أن عندنا جـهــــل وشجاعة وقصر نَفَس وفساد نظام ، وعندهم علم ومثابرة وجد

متدرج فغلبوا . يقول : "يقـهــــر علم الغرب ومثابرته تدريجياً شجاعة أهل الشرق وفساد نظامهم"(1) . وبعد الإشارة إلى هـذه المظاهر يأتي الحديث - بإذن الله - عن بعض وسائل الخلاص.

- يتبع -

الهوامش:

1- تمبرلي وجرانت ، "أوربا في القرن التاسع عشر العشرين) ، 2/37 .

البيان الأدبي

مقدمة في بناء الرواية
(القسم الثاني)(*)

د. مصطفى بكري السيّد

-4-

لا يأتي الباحث بدعــــاً من الرأي إن قال بأولوية زمانية وفنية للقصة القرآنية بوصـفـهــا الجذر الفني الذي استولــدت منه القصة الحديثة سواء في الشرق أو الغرب ، ولا بأس أن نردد مع إحدى الدراسات قولـهـا : "يبدو أنه قـد آن الأوان لكي نقول أن القصة القديمة أشد ظهوراً في القرآن الكريم منها في أي موضع آخر"(1) .

ولئن سبقت قصة التوراة قصص القـــرآن ، فإن الـتـحـريـف الذي أملته أهواء أهل الكتاب جعلت العقول المؤمنة تمجّ القصص الـتــوراتية لما (فيها مـن مخالفة قواعد العلم ، وقوانين التربية ، وهي تذكر الله ورسله بما يأبــــاه العقل وتشمئز مـنه النفس ، وماذا أكثر من أن يوصف الله بالندم والبداء (أي تبدو له الأمـــور وكأنه يجهلها ، والظهور بصور البشر - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - وأن يوصف الرسل بالكذب والسكر والزنا)(2) .

كما نجد في القصص التوراتي (هيجاناً جنسياً لا يـتـورع عـــــن اسـتـبـاحة أخس الوسائل لتحقيق الاتصال الفاجر حتى بين النبي وابنيته كما يزعم (سـفـــر الخروج) في شأن لوط ، وكالذي يطالعنا في بعض تلك الأسفار عن اتهام داود ، باقتراف أحـــــط الجرائم في سبيل السطو على زوجة أحد رجاله)(3) .

ماذا ترك التحريف في الكتاب المقدس "للأدب اليوناني الذي يعد المنبع الأول للأدب في شطريه الإباحي والوثني ؟

وما هي العلاقة بين القصة الأوربية - بوصفها أصدق امتداد مضموني للإباحية والوثنية - والكتاب (المقدس)(*) في وضعه الحالي المحرف ؟ إن هذا التساؤل يذكر بقالة قرأتها لبعض علماء المسلمين في تنظير العلاقة بين أوربا ودعوة المسيح -عليه السلام- (إن أوربا لم تتنصّر ، ولكن المسيحية تأوربت) .

وأياً كان الرأي المضاد لهذه الأولية - أي أولية القصة القرآنية الزمانية والأسلوبية ، إن كان من أهل النصفة - أن ينكر أن القصة القرآنية كانت بمضمونها وأسلوبها ؛ ولا تزال نقطة مضيئة في مسيرة هذا الفن ، وأنها في الشكل والأسلوب لم تـكــن عـبـــر الحروب الصليبية في المشرق والأندلس غائبة عن التأثير والتأسيس لهذا الفن في الأدب العربي .

- 5 -

وليس غريباً أن تتقدم قصة موسى -عليه السلام- سائر القصص القرآني سواء لجهة المكان الـذي شـغـلته من صفحات المصحف الشريف ، أو المكانة التي تبوأتها عند الـعـلـماء ، أو لخطورة الفئتين اللتين واجههما موسى حيث كانت إحداهما فئة ممعنة في التكبر والطغيان (فرعون وملؤه) وأخرى استمرأت الذل والتبعة والاستضعاف (بنو إسرائيل)(4) .

هــذه الـقـصة وإن كانت تتمحور حول حدث من الماضي، فهي قادرة على تحريك الزمن، ومن ثَمَّ الملتقى في كل اتجاه، بوصفها بنية عقدية تشريعية ، تربوية ، تاريخية ، زمانية، مكانية ، أداتها اللغة ، وقراؤها لأداء العبادة في الصلاة والتلاوة تعلماً وتعليماً ، يعــدون بمئات الملايين ، فمن حق هؤلاء أن تكون بين أيديهم قراءة واعية وعميقة للقصص القرآني عـمـوماً ، وقصة موسى - عليه السلام - على وجه الخصوص ، بحيث تضاعف هـــذه القراءة - الدراسة - فهم المسلم وغيره لمقروئه ، لأنها ليست قصة فرد أو قصة أمة (بــل قصة البشرية جميعاً)(5) .

فالمسلم يدرك بتأمل القصص القرآني عموماً أنه سليل أمة متميزة بعقيدتها ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ ، قادتها الأنبياء ، وهويتها العقيدة ، ((إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)) [الأنبياء 92] ، ((وإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)) [المؤمنون 52] ، ويدرك خـصــوصاً أوجه الشبه بين دعوة رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وأخيه موسى - عليه السلام -(6) ، فيعلم ديمومة المعركة ، وأن شرف الجندية لخدمة هذه الدعوة المباركة من أعظم ما صرفت فيه الأعمار ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وعَمِلَ صَالِحاً وقَالَ إنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ)) [فصلت 33] .

أين كتاب وأدباء المسلمين من دراسة القصة القرآنية التي يجب أن تتم ابتغاء تحقيق أكبر محصول عملي من قراءة المسلم القرآن وصولاً إلى الفهم الحقيقي الشامل لخطاب الله -عز وجل- ، وتأسيساً لـمـعرفة قرآنية إسلامية تعطي النص الإسلامي دوره المطلوب في تشكيل القول والفعل والقول في دار الإسلام؟

إنني أكتب هذا الكلام (لأذكر بأن رسالة الأدباء والمفكرين في هذه المرحلة في بلادنا ليست هي دور (المَوالي) "بفتح الميم" لثقافة وآداب وصيغ وشعارات أوربا شرقاً وغرباً)(7) . وكم يؤلمنا عندما يتشبه قلة من كتابنا

(بالمستشرقين والملاحدة) فيستشهدون بالآيات الكريمة من غير اعتبار خاص ويشيـرون إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - من غير تمييز(8) . إن دورهم الحقيقي يكون في انسجـــــام إبداعهم الأدبي مع عقيدة الأمة وتجربتها العميقة ورحلتها الطويلة، ولكننا نلاحظ بعض الغياب بين الدراسات القرآنية والدراسات الأدبية، الـتـي كانت سالكة في الاتجاهين ، وكانت خيراً عميماً للجانبين ، أما الآن فإذا تقدمت كمّاً تراجعت كيفاً، وإذا برز مفكرون متمكنون ، نرى آراءهم تغْليباً جديداً لأفكار المعتزلة، وهم مستعدون على أمتهم بالمناهج الغربية(9) .
إن هــذا الغياب عن ساحة الدراسة الجادة للقصة القرآنية آثار تعجباً وتساؤلاً لدى بعض الكتّاب فقال : (عجبت أن لم يلتفت إليها (القصة القرآنية) أحد من نقادنا ثم ما لبثتُ أن قمعتُ هــــذا العجب ، فمنذ متى يهتم نقادنا بديننا أو تراثنا ؟ إنما كل همهم أن يلووا ألسنتهم بلغــة غير لغة بلادهم ، وينسبوا أنفسهم إلى أدب غير أدبهم وحسبنا الله ونعم الوكيل)(10) .
وإذا كان هـــذا موقــف أكثر المعاصرين فإن مجهودات الأقدمين على جلالتها في خدمة التفسير عموماً فقد حجب سحاب الإسرائيليات اللجب جماليات القصص القرآني أحياناً كثيرة ، كما تمحور كثير من دراسات السابقين حول المفردات والتراكيب دون التمكن من تشييد فضاء واسع يتجلى في منظومة متكاملة تكون أكثر عونا للقارئ لتمضي به نحو فَهْمٍ شامل وكامل للقصص الـقــرآني ، وبعضها كان يجهد في غير عدو ويعمل في غير معمل ، عندما (يشغلون أنفسهم ويشغلون الناس معهم بالبحث عن النملة ، وهل هي ذكر أم أنثى ، وعن الموضع الذي كانت فيه مملكتها ، واسم الوادي الذي قامت فيه تلك المملكة .. ثم اسم النملة أي والله اسم النملة)(11)
لقد أدان ابن تيمية - رحمه الله - هذا الاتجاه - عند المفسرين - الذي يأتي على حساب النص لا لحسابه فيقول : (لا خير فيما لم يذكره القرآن ، كالبعض الذي ضرب به موسى الغلام ، والغلام الذي قتله الخضر ما اسمه..)(12)
يكفي القصص القرآنية فـضــلاً ومكانة اختيار الله -سبحانه وتعالى- لها لتكون موضوع إحـدى ســور القرآن الكريم الطويلة(13) ، أو بعض موضوعات تلك السور ، ولتكون صورة للوجود المـثـــالي للإنسانية متمثلاً بالأنبياء ونموذجاً للعلاقة بين الإنسان والكون وبارئه -سبحانه وتعالى- ، وبـيـانـــاً لـمـنـهج العيش مع أفراد الأسرة البشرية من مؤمنين وكافرين ومنافقين .
ويكـفـي هـــذه القصة أن تحمل إلـيـنا صيحة أطلقتها نملة - نعم نملة - فكرة - وأن هذه الصيحة تبالــــغ مسامع سليمان -عليه السلام- ، لو أن قاصاً معاصراً - غربياً على وجه الخصوص - أفسح للنملة في صفحات قصته مكاناً لسدت الأفق إشادات النقاد بهذه اللفتة الإنسانية لهذا المـخـلـوق الضعيف !! ((الَذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ)) [الحجر 91] ما كان لهم أن يرتقوا إلى سمو القرآن وأفقه الرحب .

تتساءل إحدى دراســات الرواية العربية (كيف يمكن أن تنتظم العلاقة بين السماء والأرض أو بين الله والإنسان، بحـيـث يمـكــن أن تسـيـر الحياة في إيقاع منسجم في جميع مراحل الحياة؟)(14) . إن وجودنا في هذا العالم وحياتـنـا فوق هذا الكوكب من صنع ((رَبُّنَا الَذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)) [طه 50] . وإن الله سبحانه قد هيأ لهذا الإنسان - فضلاً منه ومنّة - كل أسباب العيش الرغـيــد والوجــود المتوازن ، والقصة القرآنية باستعراضها النمــاذج المختلفة لما كان لينسج على منوالها ما يـكــون ولما فات ليبني على منوالها ما هو آت.
لا ندعــو إلى استعادة آلية للماضي ، ولا إسقاطه على الحاضر دونما مراعاة خصوصية كل عصر أو مصر ، بل ما نريد أن نستحضره في كتابة الأدب وقراءته ونقده جوهر الحياة التي يريدها القرآن .
ولعل في الأسطر السابقة إجابة على تساؤل الناقدة والدراسة المتعمقة..

الهوامش :

*- نشر القسم الأول هذه الدراسة في العدد 46 ، ص 56-65 .
**- الكتاب المقدس : مصطلح نصراني شائع يعني العهد القديم والعهد الجديد وتوابعهما . -البيان_
1- كليلة ودمنة في الأدب العربي دراسة مقارنة ، د. ليلى حسن سعد الدين ، دار النشر للتوزيع عمان،ص119.
2- القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ، د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، عمان ، ط 1 ، 1407/ 1987م ،ص12.
3- نظرات تحليلية في القصة القرآنية، محمد المجذوب 19/120 .
4- القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص 224.
5- السرد القصصي في القرآن الكريم ، ثروت أباظة، ص10.
6- في كتاب (سيكولوجية القصة في القرآن)، د. تهامي نقرة، الشركة التونسية للتوزيع، ص 124، استظهر أكثر من وجه شبه بين دعوة محمد وموسى -عليهما السلام.
7- قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح ص 12 ، أحمد موسى سالم ، دار الجيل ، بيروت 1987م .
8- مجلة المنهل ، عدد 493 ، ص 26 رجب 1412 ، مقال بعنوان : الاتجاه الإسلامي في الشعر الجزائري ، د. محمد مرتضى .
9- عنوان الدكتور جابر عصفور لمقالة عن كتاب د. نصر حامد أبو زيد(*) ، مفهوم النص ، (مفهوم النص والاعتزال المعاصر) . والأخير عنوان المقال في: مجلة ابداع، العدد 3، مارس 1991، ص 30.
10- السرد القصصي في القرآن الكريم ، ص 3 .
11- القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور ، عبد الكريم الخطيب ص 22 .

12- الفتاوى 13/345 ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، مكتبة المعارف الرياض / المغرب.
13- كسورة يوسف -عليه السلام- .
14- نقد الرواية ، ص 13 . انظر أيضاً : نقد الرواية ، د. نبيلة إبراهيم سالم ، النادي الأدبي الرياض ، 1980 م .
(*)- نصر حامــــد أبو زيد : الذي رُفضت ترقيته الى درجة أستاذ بجامعة القاهرة بعدما أحيلت قضية ترقـيـتـه إلى "لجنة الشؤون الدينية في الحزب الوطني الحاكم ، وهي برئاسة الدكتور عبد الصبور شاهين" ، وسبب الرفض هو عدم استحقاقه هذه المرتبة ، وقـــد اتسـمـت كتابته بالهرطقة والانحلال والاستخفاف بالمقدسات الإسلامية حتى تجرأ على القرآن الكريم في كتابه "مفهوم النص - دراسة علوم القرآن ، كما روّج لكل ما يعادي الإسلام في بقـيــة كتبه ، وناصره كافة أعداء الإسلام في مصر من ملحدين وشيوعيين وإباحيين ، ومـنحه الرئيس التونسي وساماً رفيعاً ، وهكذا كلما استبدت عقدة الشهرة بجاهل بحث عـنهــا فـي الهجوم على الدين ، وأصدرت مجلة "أدب ونقد" ، الماركسية الشيوعية ملفاً دفاعـيــاً عنه ، وتضامناً معه وذلك في أيار (مايو) 1993 م . تفوح منه عفونة الإلحاد .
- البيان -

شعر

سراييفو يا.. مدينة المساجد

إبراهيم داود

سراييفو
ماذا تبقّى لديكِ ؟ وماذا لديّ ؟
اعذريني فليس لديّ سوى جَسَدٍ مُثْخَنٍ بالجراحِ ، وقَلْبٍ مُدَمَّى
وحُبٍ كبيرٍ ، وإِرْثٍ دفيْن
اعذريني
إذا صار لونُك لونَ الرَّمادْ
وشَبَّ الحريقُ هنا وهناك ، وعمَّ الحدادْ
اعذريني فليس لديَّ سوى أوتارِ قلبي ، وَذَوْبِ فؤادي ، وزَيْتِ عيوني
وأنّي سأبقى على العهد مهما تَجَّرعتُ مُراً وَصَابا
ومهما لَقِيتُ على القرب والبعد فيك عذابا..
سأبقى ولو أنّ أهدابَ عينيك أضحتْ حِرابا
سأبقى وأدْفِن ما بين عينيْكِ وَجْهي
لأشمَّ طِيبَ رجالٍ يموتون مثلَ الرِّماحِ شبابا
وأبقى يَسُدُّون بيني وبينكِ باباً ، فأفتحَ بابا

* * *

سراييفو
كنّا رفيقيِّ عذابٍ طويلٍ طويلْ
وَصَبْرٍ جميلٍ جميلٍ جميلْ
وَرِحْلَةٍ بحث عن الضوءِ والدِّفء ، والممكنِ المستحيلْ
شقينا سَوِيًّا ، شَبِعْنا وجُعْنا
وعند اشتداد الظلامِ افتَرَقْنا وضُعنا
وكانتْ رياحُ السَّمُومِ تُشَّتِتُ خَطْوي
وكنتُ أواصِل زَحْفي إليكِ
بِرَغْمِ عذابي ، وَرَغْمِ عِثاري
وفي زَحْمَةِ الزَّحف والخوف
بيني وبينك كانتْ تموتُ المسافاتُ كالأُمْنِيات
وكنتُ أراكِ كَشَمْسِ النهارِ

* * *

يا سراييفو ! أيتها الشهيدةُ الشاهدة ! أيتها المجاهدة ! أيتها الغريبة !
أيتها البعيدةُ القريبة !
يا دُرَّةَ البلادْ ، يا حَبَّةَ الفؤاد
"يا مدينةَ المساجدْ.." وأنّةً مكتومةً في صدرِ كُلِّ راكعٍ وساجدْ
يا كوكبَ الضياء ، يا كَوْثرَ الدُّنى
يا حُزْمِة السناء والسنى
يا بُؤرةَ الآمالَ والآلامِ والمنايا والمنى
أذِّني وأكثري من الدُّعاء
وكبِّري وسبحي لخالقِ السماء
تألَّقي وأشرقي في الصيف والشتاء
توهَّجي وأحرقي في الصبح والمساء
واصبري وأبْشِري
ففي غدٍ سيطلع النهارْ
وفي غدٍ ستلبسين ثوبَكِ الجديدْ
وتطلعين من وراء ذلك الرُّكامْ..
بَهيَّةً كأنكِ القمرْ ويكتب التاريخُ في دفاترِ الأيامْ
تاريخك المجيدْ :
سراييفو ملحمةُ الجهاد
وقصةُ الإباءِ والظَّفَرْ

مغامرات هر

فيصل محمد الحجي

يعيش في بيت الشاعر هر أليف . . غاب هذا الهر عن المنزل شهراً كاملاً على غير عادته.. وفي يوم من الأيام سمع الأطفال مُواءهُ على الباب فخرجوا متصايحين متدافعين ليفتحوا له الباب.. وخرج الشاعر يستقبله ويسأله :

ادخل رعاك الله يا هِـــرُّ طال الغياب وفي الجوى جَمْرُ
فارقتنا شهراً.. وما أَلِفَتْ نفسي فراقاً طوله شهر.. !
ماذا دهاك؟ وهل لقيتَ أذىً حتى تركتَ البيتَ؟ ما السرُّ؟

***

أَتُرى وقعتَ بحب شاردةٍ حسناءَ في ألحاظها أسر؟
صادفتَها عند الرصيفِ وقد مالتْ.. فمال القلب والثغر
ماءتْ.. فَمُئْتَ ودار بينكما همسٌ... وهمس كِلَيْكما جهر
فَمَشَتْ. وسِرْت وراءها وَلِهاً وبشائر الآمال تفترّ
ألفيتَها في بيت سيّدها كحمامةٍ يصطادها نسر
حتّى إذا ملّتْ.. وقد وَجَدَتْ منك الفتورَ.. تحطّم الجسر
طردتْك زاهدةً.. فعُدْتَ لنا لولا الجفا.. ما عُدْتَ يا هرَ
أتُراكَ كنت بقصر ذي نَشَبٍ رجلٍ كريمٍ مالُـــهُ وَفْـــرُ
ووجدتَ أصنافَ الطعام فلا بُخْـــلٌ يقتّرها ولا حظر
شتّان بين فُتاتِ مطبخنا الخاوي وما يُلْقي به القصر
كم لاطفوك وأنت مغتبطٌ جذلانُ لا ضربٌ ولا نهر
وتنام فوقَ سرير سيّدةٍ يحنو عليك بدفئه الصدر
حتى إذا رحلوا بنعمتهم أَضْحَتْ همومكَ ما لها حصر
والجوع أبدى ناجذيه فلا لحمٌ تفوز به ولا فـــــأر
فذكرتَ عند الجوع مطبخَنا لولا الطوى ما عُدتَ يا هرّ

***

أَتُرى مواءك كان مرتفعاً رَفْعُ المواءِ نتاجه ضرّ
ولربَّما بعضُ المواءِ له معنىً يُسيء لمن له الأمر
وضعوك في زنزانةٍ غضباً ضاقتْ عليك كأنّها قبر
قد ذقتَ ألوانَ العذاب بها فاليومُ ضِمْنَ سجونهم دهرُ
حتى إذا اكتشفوا البراءة من فحوى غبائكَ وانتهى الجورُ
فكوا قيودك ثُمّة اعتذروا فشكرتَهم وتكررّ الشكر
تلك السجون حَبَتْكَ حكمتها أنّ المواءَ بأرضنا كفر
لو كنتَ مثلَ خروف جارتنا لسلمتَ لم ينزلْ بك الضيْرُ
أُنظُرْ إليه في سعادته يغفو.. ويسترخي .. ويجتر
كم علّمونا في مداجنهم أنَّ السكوتَ على الأذى تِبْرُ

ورجـعـتَ غـيـرَ مـصدِّقٍ أبداً لـولا الـدُّعـا مـا عُـدْتُ يا هرّ
***
أتـراكَ أغـضـبتَ المرور هـنا ومـررتَ قـسـراً حـيـنـما مرّوا
وشرعتَ (بالتفحيط) لم تحفِلْ بـإشــارة الـتـنـبـيـه تحـمــرّ
وضـعـوكَ في سجن المرور وقد طـال المُـقـام وضامــك الأسـر
وعــزاءُ مـن يُلـقَى بفـندقـهم أنّ الـمـرور سجـونُـهُ حَـشْـرُ
ونَـسُـوك ..لا هـمٌّ يـؤرّقـهـم مَـنّ أنـت؟ لا شـأنٌ ولا قَــدْرُ
لـو كنتُ أعلم جئت ملتمساً ودعـوتُ أصـحـابي وهم كُثْر
لـيـوسِّطوا ذا الشأنِ صاحِبهم فـبـهـاتـفٍ يـتـضـاءل الــوزر
مَـضَـتِ الليالـي لـم يَبِنْ أَمَلٌ وكـأنّ لـيـلـك مـا لـه فـجـر
وَجـرَتَ دموعُك في محاجرها ممّـا جـرى.. وتـبـدّد الصبر
نـظـر الرقـيـب وقال حكمته وحـنـا عليك فناله الأجــر:
اثـنـانِ لا تخـرقْ نظامهـما: الـدّينُ -يـا فهمانُ- والسَّـيْرُ
ورجـعتَ نحوَ البيتِ منطلقاً لـولا الـرضا مـا عُـدْتَ يا هرّ
***
أَتــُرى غـدوتَ تهيمُ في كرةٍ جـوفـاءَ حـيـث الكرّ والـفرّ
كـرةٍ بـهـا الأنـظـار عـالـقـةٌ فَـهُـمُ العـبـيـدُ وطيشها حرّ
حَـمِـيَ الوطيسُ وثار ثائرهم فـكـأنّـهـا الـيـرموكُ أو بَدْرُ
شَـغْـبٌ وتصفـيـقٌ وهمـهـمـةٌ فـي جوِّها الغوغاءُ قد سُرّوا
حتى إذا انتصر الفريق طَغَتْ حُـمّى الجنونِ وعربد الفخر
وحـمـاسة الجمهور ترجمها صَـدْمٌ وضـربٌ فـيك أو عَصْرُ
ورمـاك تـحـت نـعـالهم أَلَمٌ وإصابةٌ فـي الـرأس بل عشر
واستقبل الإسعافِ ما حملتْ سـيـارة الإسـعاف و"المـكـرو"
وبـقـيـتَ شـهـراً في معالجةٍ إنّ الـعـلاج أقّـلــه شــهـر..
ورجعتَ نحو البيت منكسراً لـولا الـشـفـا ما عدتَ يا هرّ
***
أَتـُرى ذهـبتَ إلى المطار وقــد أغـراكَ مــا يـلـغُـو به السَّفْرُ
عـن بـلدةٍ فـي الأرض قاصيةٍ لـكـنّها للمـشـتهـي شِـبْـرُ..
فـاض الجـمالُ على شواطِـئها ومِـنَ الفــنادقِ يشرقُ السحر
فحِـسـانُها في ساحها بـحـر وطـريـقــهـا بحـسـانـه نهر
دوّى برأسـك بعض ما وصفـوا والـغِـرُّ بالأهـواءِ يـنـجــرّ
فحشرتَ نفسك في زحامِـهـمو وصـعـدتَ مستتراً فلم يَدْرُوا
وجلستَ بين(العفـشِ)مختبئاً والـحـرُّ يـصـبر حين يُضْطَرُّ
واسـتـقْـبَلَـتْ(بَنْكوكُ)فـارسَها ومـشـى بها فانـتـابـه كِـبْـرُ
حَلُـمَ الغـبيُّ بـأنّ مـغـنَـمـها سَـهْـلٌ وأنّ عـسـيرهـا يُـسْـرُ
سـيـنـال شـهـوتَـهُ بلا حَرَجٍ فهـنـاك لا نَـهْـيٌ ولا زَجْـرُ

***

وَقَـفَـتْ أمـامـك هـرةٌ تـزهـو بجـمـالهـا وسـلاحها مَـكْـــرُ
فـكـأنَّ شـعـر جبـيـنها زهـرُ وكـأنّ دورةَ وجـهـهـا بـــدر
ماءتْ فلم تَفْهَمْ.. ومُئْتَ فـما فَهِمَتْ.. فغاض بوجهك البشرُ
"وتعـطّـلـتْ لغةُ الكلام" فلا نـثـرٌ يـوضّـحـهـا ولا شـعـــر
نَظَرَتْ إليك فأبـصرتْ ذَكَـرَاً لا الـمـالُ يرفـعه ولا الذِّكــْـرُ
ورأت وِفـاضَـكَ خالياً فَأَبَتْ أنْ يـعـتـرِيْـها الفقرُ والعُـهْـرُ
لـو كـنـتَ مِنْ أهلِ الثراء لَمَا ضَنَّت عليك ونالك الخـيـــر
مـا تبـتـغي بالـفـقـر في بـلدٍ أجـــواؤهُ وتُـرابُـه فـــقـــــر
قـد أرخـصوا أعراضهم طلباً للأصفـر الرنّـان كي يُـثـْـروا
فارحلْ فلا وَطَراً قضيتَ ولاشَـرَفٌ يـعـزُّ بمـثـلـهِ الحـــــرّ
ورجعتَ.. بل هم أرجعوك لنا لولا العصا ما عدتَ يا هـــرّ

***

يـا هـرّ لـي رأيٌ أبــوح بــــه فـاسـمـع فإنّك جاهلٌ غِرّ..
سـر فـي المـكـان أو الزمان كما تهوى..مداك الكون والدهر
واسْـبـرْ غوامـضَـهـا وقـاصيَها وانْـظُـرْ بما يأتي بـه السبر
سـتـعـودُ يـومـاً مـا لِتخبَرنـــا أنَّ الحقـيـقـةَ مـا لهـا سِتر
الـتـائهـون لـدى الخـنـا كُثُـرٌ لـكـنّـهـم عـنـد القـنا صفر
قـد نـكّـسـوا رايـاتِ أمّـتـهـم لا (خالـدٌ) يغزو ولا (عمرو)
قـد آثـروا الخضراءَ فـي دِمَنٍ فـكـأنّ نَـتْـنَ فجورها عِطر
تـلـقـاكَ تسقيك الهلاكَ كـمـاً لـو تلـتقي السكينُ والنحرُ
هـذي هـدايـاهـا تهاجـمـنـــا "الإِدزُ" والأفـيـونُ والخمرُ
أيـن الحرائر قد سَمَتْ نسبــاً والحُـسْـنُ يكسوهنَّ والطُّهْرُ
تُـبـدي الوفا والخبزُ بُلْغَـتُهــا والـزيـتُ والزيـتـونُ والتمرُ
أيـن الـبـطـولـةُ في مـعاركـنـا وعـدوّنـا مـسـتـأسـدٌ يَضْرو
سـاحـاتـهـا طِـرْسٌ نسطّــرهُ.. ودمـاؤنـا لـسـطـورهـا حِبْرُ
سـتـرى إذا عهد الصبا ولّـى وبـدا خـريف العمر يصفّـر
وَغدتْ عروضُ البيع كاســدةً في السوق.. لم يُدْفَعْ بها سِعر
وتهـاوتِ الأوهـامُ زائـفـــــةً وأتـى الـنذير وأَمْرُهُ الأمـر:
أنّ الـنـدامـةَ لَسْـعُـهـا جَمَـرُ أنّ الخـطـيـئـةَ طَعْـمُها مُرّ..
طـاشَـتْ سهامُك هاهنا وهـنـا عَـبَـثـاً رمـيتَ وأَفْلِتَ الطيرُ
وتمـزّقـت منك الـدّلاءُ.. فــلا مـاءٌ يـبـلّـلـهـا ولا قَـطْــرُ..
وبقيتَ في تيهِ السرابِ.. لــه قَـفْـرٌ وخـلـفَ قِـفـاره.. قَفْرُ
مَنْ ذا الذي يَهْدي خُطاكَ إلى برّ الأمان .. وقد مضى العُمْرُ
الـعـمـرُ مـثـل البـئرِ تنزلـــه.. والـمـوت يحفـظـه لك القعر..

***

أُدخـل هـداك الله يـا هـــرّ أرأيــتَ أنّـك جـاهـل غـرّ؟

التعليق الثقافي

أحدث اكتشافات عصر الانحطاط المعاصر »اللغة التونسية«

- المحرر الثقافي -

منذ أمد طويل والمعارك تُشَنُّ بعض المعارك ، واللغة العربية الفصحى هي المستهدفة في تلك المعارك ، وأمّا أعداء اللغة العربية الفصحى فهم كالبعوض كثرة وأذىً لا يكتفون بما لديهم من جراثيم بل يستوردون وينقلون الجراثيم الخارجية ليزداد السوء سوءاً، واستيراد المؤذي والضار ليس أمراً جديداً ، وإنما عرفه حُمَاة اللغة العربية الفصحى منذ القديم، وكان فريق الأعـداء مكوناً من الأعاجم الشعوبيين بالإضافة إلى عملائهم الذين هم أكثر مـنهـم ضِـعَــةً وانـحــلالاً وتآمراً وأذىً ، لأن العدو الداخلي أخطر من العدو الخارجي لتمكنه من نسف البناء من الداخل .

ذهبت القرون تلو القرون ، وانقرضت طبقات وطبقات فخلَّف أنصار اللغة العربية الفصحى ميراثاً نزيـهـاً تـفــوح مـنــه عطور الإخلاص والأمانة ، أما الأعداء فخلفوا ورائهم روائح الخيانة العفنة النتنة.

رفع راية العداء في العصـر العباس أعاجم شعوبيون ومجوس ، وتتالت القرون ، ومرَّ ما يسمى عصر اليقظة ، وهو عصر السُّبات العميق ، وأعقبه ما يسمى عصر النهضة - زيفاً وبهتاناً - لأنه عصـر الغيبوبة والخدر ، ومصداق ذلك ما آلت إليه الثقافة العربية التي قُلبت رأساً على عقب ، فحلّ الهجين محل الأصيل ، والعميل محل الوطني ، والخائن محل المخلص، والجاهل مـحــل الـعـالم ، والكافر محل المؤمن ، والغبي محل الذكي ، وعديم الشعور محل الشاعر ، والمغفل محــل النبيه ، والأصاغر محل الأكابر ، وزُوِّرت الأسماء والصفات فأطلق على الأوضاع الشاذة مصطلح "عصر الحداثة"!!

في عصر الحداثة سُنَّت الحروب على اللغة العربية الفصحى ، فرُفعت بـيـارق الـلـهجات العامية الضحلة في أكثر من قطر عربي ، وبلغ البعض أسفل درجة من الانحطاط فدعوا إلى استخدام الحروف اللاتينية محل الحروف العربية ، واتخذوا مما نفذه يهود الدونمـــــة نبراساً يهتدون به .

إن سبب إعلانات الحروب على اللغة العربية الفصحى هي كون تلك اللغة : لغة القرآن الكريم ، ولغة السُّنة النبوية ، ولغة التراث الإسلامي بشكل عام . فإذا ما هُزِمت تسهل هزيمة ما تحتويه من تراث مشرف ، فاللغة كالإناء إذا كسر ضاع محتواه .

لم تـتـوقـف أنواع المعارك، كما لم تقتصر على الدعوات إلى العامية، واستبدال الحروف، وإلى آخر ما هنالك من جِيَفٍ فاحت عفونتها من مصر وسوريا ولبنان والعراق والجزائر .
لعل الغريب أتى هذه المرة من تونس الخضراء،وذلك بالدعوة إلى الاهتمام باللغة التونسية، نعم اللغة التونسية ، وربما يدعون إلى القومية التونسية غداً ، والدين التونسي (البورقيبي + ورثته) بعد غد .
لـقـد تضمنت أخبار الثقافة - خبراً تقشعر منه أبدان الذين ما زال عندهم بقية باقية من غيرة وحياء. وهذا هو الخبر:

"تونس/ إصدارات

كتاب : **"الأمثلة الشعبية التونسية"** محاولة لتأكيد وجود "لغة" تونسية .
تونس 10/5/1993 : يتضمن كتاب "الأمثلة الشعبية التونسية" للأستاذ الجامعي التونسي (الهادي بالغ) مدرس اللغة الفرنسية في إحدى الكليات التونسية ، اعتقاداً راسخاً بوجود "لغة" تونسية بعيدة عن اللغة العربية الأم ، وقد جمع فيه المأثورات الشعبية المتداولة في تونس معتمداً منهجية دقيقة قوامها تصنيف المأثورات بحسب التوزيع الأبجدي .
وفي لقاء مع (وكالة فرانس برس) لم يعتبر المؤلف كتابه شاملاً لكل المأثورات التونسية بل خطوة ستليها خطوات أخرى "موضحاً أن فكرة الكتاب نبعت من تجربته مع صحيفة (لا بريس) اليومية الصادرة باللغة الفرنسية حيث كان يقوم أسبوعياً بترجمة الأمثلة التونسية إلى اللـغـــة الفرنسية . وبعد ما توافر له عدد كبير من الأمثال الشعبية جمعها في الكتاب المشار إليه .
وأضاف: إن كـتـابـه "أمس لقيام مُنجد خاصّ باللغة "التونسية" الأمر الـــذي يحمله على الاعتقاد الراسخ - بوجود لغة تونسية بعيدة عن اللغة الأم العربية".
وقــال: إن "الحديث عن لهجة تونسية على غرار اللهجات العربية الأخرى أمر مغلوط وأوضــــح : إن "اللغة التونسية" لغة أصيلة يعتمدها أفرد الشعب التونسي في تخاطبهم اليومي"، وهـــي حسب رأيه "وإن تعرضت إلى ضغوطات سابقة نتيجة الاستعمار ، تظل دائماً محـــافـظــة عـلى شخصيتها المستقلة ، وعلى كيانها اللغوي المتكامل والمتناسق" ، ويؤكد المؤلف أن كـتـابــه "يقـيــم مصالحة بين الإرث الثقافي في تونس وبين نخبتها المثقفة" ، ويسعى إلى البحث في ثقـافــات أخـــرى ولا سيما الفرنسية منها عن مأثورات نظيرة لما وجده في المخزون الثقافي التونسـي الأمر الــــذي استغرقه جهداً كبيراً . وقد أراده قناة تؤمِّن التواصل بين الثقافات الإنسانية في الجنوب والشمال وفي الشرق والغرب.
ولا ينكر (الهادي بالغ) وجــــود مأثورات تونسية شعبية منقولة عن اللغة الأم وهي تُمثل الجانب الأوفـــر مما هو متداول . كـذلـك يـــرى جانباً من هذه الأمثلة متجانس مع بعض الأمثلة الأخرى المتداولة في أقطار عربية أخرى .

ويـؤكـــد على أن نسبة لا تَقِلُّ أهمية عن سابقاتها تونسـيـة محضة ، وهي من إبداعات التونسي ، ومـعـبـرة عــن واقعه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي .
ويتمنى المؤلف أن يتمكن الكاتب من أن يُطلِعَ التونسي على إرثه الثقافي الثري وأن يتجاوز رواجه الحـدود التونسية على غرار شريط الخرج التونسي (فريد بوغـدير) "عصفور سطح" الذي حقق نجاحات كبيرة في السنوات القليلة الماضية ، لأنه ضمـنــه أمثلة شعوب أخرى متعددة ناطقة بالعربية والألمانية والسويدية والإيطالية والإسبانية .
وسيصدر المؤلف الأجزاء الأخرى من "الأمثلة الشعبية التونسية" في مرحلة لاحقة" .

***

هذا هو الخبر ، اكتشاف بحجم المآسي التي تصفع وجه العالم الذي يدعي الحضارة زيفاً ونفـاقـــاً ، ومختـصـر القول : من تونس لم يأت الجديـد ، وإنـما من هناك فاحت رائحة العداء للغة العربية بعد معاداة الإسلام والمسلمين .

المسلمون والعالم

مأساة البوسنة و "الحل الغربي"
رصاصة الرحمة

د. علي عبد الرحمن عواض

الإجماع الأوروبي الاميركي :

لمدة أشهر وأسابيع بقيت الولايــات المـتـحـدة تتلاعب بعواطف المسلمين وتدغدغ مشاعرهم بالعزف على وتيرة التدخل العســكري لحـمـايـــة "ضحايا الإجرام الصربي" وتهدد برفع الحظر "حظر التسلح" عن البوسنة حتى يتمكن سكان البلد وجيشه من حماية أنفسهم . ظلت أميركا تزيد من حدة وتــيرة التدخل العسكري وضرب مواقع الصرب.. حتى أوهمت المسلمين الذين لا حول لهم ولا قـــوة بأن الفرج اقتـربـب ، وأن الضمير الإنساني لا بد وقد استيقظ حتى كتبت جريدة الاندبنـدنت في عـنـوانـهـا الـرئـيـســـي(1):"أوين يستجدي الأميركيين ألا يطلقوا النار" .
لكن الأحداث الأخيرة نقلت لنا صـــورة أخرى فقد وافق الأميركيون أخـــيـــراً "ورضـخـــوا للإصرار الأوروبي" ووقعوا على خطة جديدة لحل مشكلة البوسنة والهرسك راعت "مشاعر الأوروبيين" وأخـــذت بالاعتبار الموقــف الـروسي الموالي للصرب . وقع على "مشروع العمل المشترك ، كل من أميركا ، روسيا ، بريطانيا ، فـرنسا وإسبانيا . بينما وقفت ألمانيا (وهي السند الأصلي

لكرواتيا) موقف الناقد والمشكك فيما توزعت الدول الأخرى بين مؤيد ومشكك ومعارض . معظم المعارضة جاءت من باكستان وفنزويلا .

والخطة الجديدة هي عملية تقزيم جديدة - إن لم نقل إنهاء فعلي - للدولة البوسنوية ولوجود المسلمين في هذا البلد ، فالمناطق الآمنة هي جيوب سكانية - مدن وقرى محيطة بها - تقل مساحتها بكثير عن مساحة الأقاليم التي حددها الوسيطان الدوليان - سايروس فانس واللورد دايفد أوين في تقسيمها للبوسنة إلى عشر مناطق عرقية بين المسلمين والصرب والكروات. طبعاً الخطة كان لها وقع الصاعقة على مسلمي البلاد حيث صرح رئيس البلاد علي عزت بيكوفيتش أن الخطة هي "خيانة" لقضية البوسنة والهرسك ودعا شعبه إلى "القتال" لأنه "على ما يبدو فإن الحل الأوحد لإثبات حقنا في الوجود والأرض.. إننى أدعو شعبي وكل المحبين لهذا البلد أن يتوحدوا ويقاتلوا من أجل إبقائه ومن أجل إثبات وجودهم"(2) .

الصرب رحبوا بالخطة ورأوا فيها اعترافاً دولياً "بانتصاراتهم العسكرية" ووصفوها "بالواقعية" مشيدين بالرئيس الأميركي على "مواقفه الحازمة" وبأنه "سوف يكون رئيساً عظيماً لأنه لم يستمع إلى نصائح محبي الحروب ممن أرادوا أن يقحموا الولايات المتحدة في فيتنام أخرى"(3) ، كما جاء على لسان زعيم صرب البوسنة رادوفان كاراداجيتش . الكروات بدورهم لم يعلنوا رفضاً أو قبولاً لأن الأمر لا يرتبط بهم كثيراً ولكون هذه الجيوب "مناطق آمنة" في إطار صربي صرف .

تهدف الخطة إلى حماية "ستة مناطق" أعلنتها الاتفاقية "مناطق آمنة" . ولا تتعرض لمئات الآلاف من المسلمين تحت سيطرة القوات الصربية والكرواتية أو المشردين في أنحاء أخرى من العالم . كما تهدف الخطة لوضع مراقبين دوليين على الحدود بين صربيا والبوسنة وزيادة عدد الجنود العاملين ضمن قوات الأمم المتحدة لحماية "المدنيين الأبرياء" كذلك وافقت على استمرار الحظر الجوي على البوسنة و"التحرك بسرعة لتشكيل محكمة دولية لمحاكمة مجرمي الحرب والسعي إلى تنفيذ خطة السلام الدولية على مراحل".

المناطق "الآمنة" التي وافقت عليها أوروبا وأميركا وأقرتها الأمم المتحدة لا تمتلك من مقومات الاكتفاء الذاتي شيئاً . فالصرب الذين يحاصرونها من جميع جوانبها يستطيعون خنقها متى شاؤوا وبهذا فهي مناطق آيلة للسقوط آجلاً أم عاجلاً للصرب الذين أكملوا المرحلة الأولى من إقامة دولة صربيا الكبرى .

المعلقون السياسيون والإعلاميون وصفوا هذه المناطق بأنها : "ليست سوى مخيمات واسعة للاجئين لا تمتلك من مقومات القوة الذاتية شيئاً وتعتمد كلياً على العالم الخارجي لاستمرارية بقائها . لذا فإن سقوطها أمر حتمي"(4) .

تقول مجلة الإيكونومست أن هذه المناطق الستة "يمكن تسميتها بأي شيء إلا بـالآمــنــة، والمـسـلـمـون على ما يبدو بعيدون جداً عن الأمن في هذه المناطق فهي محاصرة مخنوقة من الخارج ومزعزعة من الداخل اجتماعياً واقـتصادياً... على ما يبدو أنه ليس هناك مستقبل للبوسنة (الحكومة البوسنية)"(5) .

ومع أن هــذه المنطقة أُعلنت رسمياً "مـنـاطق آمنة" فإن القصف العنيف والحصار والهجوم عليها مستمر - بل بعنف لم يُشهد من قبل - ويـبـدو أن الأمم المتحدة نفذت لديها تعابير الاستنكار لذا لم يكن رد الفعل - بالمستوى - حتى كلامياً .

الرئيس الأميركي الذي ندد في 21 أيار/ مايو بفكرة المناطق الآمنة رافضاً أن يورط الولايات المتحدة في قضية ينتج عنها إيرلندا شمالية أو قــبــرص أو لبنان آخر(6).. عاد فصرح بعد يومين(23/5/1993) وأشاد "بالحل العملي الأمــثـــل الذي سيكون الخطوة الأولى والمرحلة لإحلال السلام في البوسنة . واعتبر أن هذه الـخـطـــوة هي لمصلحة الشعب الأميركي ذاته !!" (الغارديان 24/ه/93) .

عملياً فالخطوة الأميركية-الأوروبية الجديدة هي إنهاء، وبشرعية دولية، لوجود البوسنة والهرسك كدولة ذات سيادة تتمتع بحريتها واستقلالــهـا وتحويلها إلى مخـيـمــات كبيرة للاجئين يجردون من سلاحهم ويحبسون فيها .

الحلول البديلة :

كانت هناك بعض المعارضة داخل الولايات المتحدة كتلك الـتـــي برزت من الديموقراطيين والجمهوريين الذين صرحوا على لسان نائبهم في البرلمان بـــوب دول : "أن الخطة جاءت لتمحي من الوجود شيء اسمه دولة البوسنة والهرسك" . وقد صـــرح النائب الديموقراطي دانيال باتريك مونيهام : "إننا بهذا نُشَّرع للقتل الجماعي والـمـجـــازر.. لم يشهد النظام الدولي ذلاً وعوجاً أخلاقياً لهذا منذ العام 1930" .

الدول الإسلامية - "بكل ما عُرف عنها في الفترة الأخيرة من حزم وشدة وقرار" - عملت مع "الدول غير المنحازة" على إعداد مشروع قرار هدفه "إطاحة اســتـراتـيـجـية الاحتواء للنزاع البوسنوي التي تبنتها الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا وفرنــسـا وإســبانــيا في واشنطن في إطار ما يسمى برنامج العمل المشترك"(7).

ويدعم مشروع القرار استعداد عدد من الدول الإسلامية مثل باكستان والمغرب للمـسـاهـمـــة بقوات ضمن إطار قوة الحماية التابعة للأمم المتحدة في البوسنة والهرسك وذلك لحمايـــــة المسلمين شرط "تمكين القوة الدولية من اتخاذ إجراءات لفرض التنفيذ ، وشرط ربط حماية المناطق الآمنة في إطار زمني بتنفيذ خطة فانس أوين للسلام لئلا يتكرس الأمر الواقع الذي أفرزته سياسة التطهير العرقي الصربية"(8) . وقد أصدرت منظمة المؤتمر

الإسلامي بـيـانـاً دعت فيه إلى توسيع قوة الحماية الدولية لتشمل قوات الدول الإسلامية وأعربت باكستان عن استعدادها لإرسال كتيبة من حوالي 400 جندي . ورحب الأوروبيون بالفكرة شـــــرط انــتــقـاء دول إسلامية مثل مصر والمغرب والأردن وماليزيا وأندونيسيا وباكستان كرد على بلاغ الأمـــين العام للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالي أن "العجز بالميزانية والقوات يجعل الأمـــانــة العامة غير قادرة على تعزيز الحماية في المناطق الآمنة والذي يتطلب حوالي 10 آلاف جندي و700 مليون دولار" ..

"ودبت النخوة" في أحد السفراء المسلمين في الأمم المتحدة فصرَّح إثر الاجتماع : "إن حجة الأوروبيين - خـــاصة الفرنسيين والبريطانيين منهم - أن عدم فرض التنفيذ في البوسنة - الهرسك هي الحرص على سلامة وأمن قواتهم العاملة في إطار قوة الحماية الدولية وأمنها، لذا فإن ردنا هو أننا على استعداد لإرسال قواتنا والمخاطرة بأرواح شبابنا في البوسنة (..) ونـريـد بـذلـك مـنـــع تـكــرار التذرع بالحرص على سلامة شبابهم (..) فـلـقـد طـفـــح الكيل"(9)!!

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبـشــر بـطــول سلامةٍ يا مربع

مناطق آمنة أو خطة فانس - أوين :

الأوروبيون والاميركيون الذين وقعوا على وثيقة أو برنامج "العمل المشترك" والذي شاعت تسميته "مشروع المناطق الآمنة" علقوا على النقد الذي وجه إليهم بأن خطتهم هذه ليست خطة جديدة بل هي خطوة عملية أولى لتطبيق خطة فانس - أوين التي وافقت عليها الأمم المتحدة .

وبما أن المسلمين في وضع "كـلــما أشرق عليهم يوم ترحموا على الذي قبله" أخذوا يطالبوا بالالتزام الكامل بخطة السلام الأولى والتي وقع عليها رئيس الدولة علي عزت بيكوفيتش، وكان الكروات قد وقعوا عليها مسبقاً ورفضها الصرب رفضاً قاطعاً، بعد أن وقع عليها زعيم صرب البوسنة كـارادجـتش معلقاً توقيعه بشرط قبول برلمان صرب -البوسنة للاتفاقية وقد أجري اســتـفــتــاء شعبي للصرب في البوسنة أظهر رفضاً كـلـيــاً للاتفاقية. فإذا كانت الاتفاقية تحرم المسلمين من مـعـظــم حقوقهم وتعطي للصرب والكروات أكثر مما يستحقون فلماذا يرفضها الصرب .

طبعاً الجواب المبدئي هو أن الصرب الذين لا يواجهون - على المدى البعيد أو القريب - بأية قوة توقفهم عند حدهم ، يرون أنه لا داعي لأن تتوقف "انتصاراتهم" عند هذا الحد. بـل يـجـــب أن يستكملوا مخطط إقامة دولة صربيا الكبرى طالما الـظـــــروف العسكرية والسياسية "والإسلامية" ملائمة لهذا المشروع .

عرف الصـــــرب مـــن أين "تؤكل الكتف" وكيف . فقد أعدوا إلى جانب القوة العسكرية الطاحنة جـواً "شرعياً" داخل مناطقهم وبلادهم لتقبل فكرة إنهاء الوجود الإسلامي في هذا القطاع من "أوروبا المتحضرة" . فكارادجتش

نفسه شاعر قومي طالما أثار حماسة أهل بلاده بقصائده الوطنية المليئة بالحقد والنقمة على الإسلام وأهله . وأصدرت كنائسهم ورجالات دينهم "الفـتاوى" بقـتـل الـمـسـلـمـيـن وسبي نسائهم وإبادة أطفالهم وتدمير ممتلكاتهم أو مصادرتها وطردهم منها إلى غير رجعة .
الكنيسة الشرقية التي لا زالت تعيش مشاعر هزائمها مع الأتراك المسلمين وجدت الفرصة سانحة للثأر ولإعادة الكرة عليهم. لـــذا وجـدنــــــا أن ناقوس الحرب قد دُقّ في مناطق "أرثوذكسية" أخرى ليلبي أبناؤها نداء الدين في اليونان ورومانيا وروسيا.. حتى وصلت أعداد مرتزقة تلك المناطق عشرات الآلاف ممن جـــــاؤوا "ليحموا الكنيسة من الأصولية الإسلامية" .
وقد عرف الصرب أيضاً من أين تؤكل الكتف "سياسياً ودبلوماسياً" . فقد شاركت وفودهم في المفاوضات من أمريكا إلى بريطانيا إلى.. جنيف باسطين الغطاء على العمل العسكري الذي لم يتوقف يوماً واحداً داخل البوسنة-الهرسك . هـكــــذا يأتي أعداء الإسلام إلى طاولات المفاوضات ورأينا كيف أتاها المسلمون أو من يمثلهم في البوسنة وغيرها .

"الحلفاء المخلصون" ؛ الكروات :

منذ اندلاع الشرارة الأولى للحرب الشاملة في البوسنة والـنـاس تـتــداول أخـبـــار الحلف الكرواتي - المسلم في هذا البلد فحيناً يصفه بعض المراقبون بأنه حلف "صادق" وثابت لأن الكروات والمسلمين بحاجة إلى الوقوف في صف واحد أمام جحافل الصرب القادمـــــة من صربيا والجبل الأسود لتدعم كتائب صرب البوسنة ومرتزقتها من روس ويونانيين ، جاؤوا ليحـمـــوا الكنيسة الأرثوذكسية من "خطر الأصولية الإسلامية" . وحيناً كان "المشككون" يرون أن الكروات يستغلون المسلمين كوقود لمعركة يعرفون أن المسلمين لن يخرجوا منها إلا بخفي حنين خاصة وأن "التجاوزات" التي كان يرتكبها عساكر الكروات كانت تزودهم بالأدلة عـلـى صـحـــة ادعاءاتهم ، وبعد أن نشرت الصحف الألمانية خطة تودجمان -ميلوسيفيتش(*) لـتـقـسـيـم البوسنة وضمها إلى كرواتيا الكبرى وصربيا الكبرى نشطت الزيارات وكثرت التصريحـات لتؤكد أن لا صحة لهذا الادعاء وأن الكروات متعهدين بوعودهم تجاه "رفاق السلاح" و "أصحاب الحق الشرعي" حكومة البوسنة والهرسك . وجاءت الحقائق والأحداث لتدفع بالأدلة وثيقة الخداع والنفاق الكرواتي وتبرز حقدهم وتميط الـلـثـــام عــن أنياب أبناء الكنيسة الكاثوليكية وحقيقة نواياهم تجاه هذه الدولة الوليدة، فقد أبرز الكروات نواياهم علناً بعد العدوان الخفي المستمر والمتمثل بحرمان جيش البوسنة من الإمـــــــدادات التي لا بد وأن تمر عبر الأراضي التي تسيطر عليها القوات الكرواتية مباشرة بعد توقـيـع الرئيس البوسني علي عزت بيكوفيتش على خطة السلام المقدمة من سايروس فانس واللورد أوين (وهو ما عرف بخطة فانس -اوين) . وقبل التوقيع عليها أعطى الرئيس الكرواتي توجمان اليمين المغلظة لرئيس

البوسنة بأن جميع المساعدات على اختلاف أنواعها ستـصـل إلى قـــوات الجيش البوسنوي بدون أي عراقيل فور توقيع الرئيس البوسنوي على الـخـطــة . وهذا لـــيس سراً فقد غطته وكالات الأنباء والصحافة الكرواتية قبل غيرها .
ولكن كعادتهم في حفظ العهود، قــام أعــداء الإســلام الكروات وبتوجيه من رئيس الدولة الـكرواتية بهجوم عسكري واسع شـمــــل جميع الـمـدن ذات الغالبية المسلمة التي ضمها الـوسـيـطــان الدوليان إلى الجانب الكرواتي .
وقد سبق الهجوم تحذير وإنذار من القوات الكرواتية للجيش البوسني والمسلمين بأن "الجيش الكرواتي" يجب أن يأخذ السيطرة على جميع المناطق الكرواتية . لذلك لا بد لجيش البوسنة أن يذعن لأوامر قوات مجلس الدفاع الكرواتي ، أو يسلم أسلحته أو يغادر فوراً الأقاليم الكرواتية إلى الأقاليم المسلمة "كما جاء في المؤتمر الصحفي للناطق الرسمي لمجلــس الدفاع الكرواتي في 15/4/1993 . علماً بأن الأقاليم المسلمة محتلة بمعظمها من الصرب..
المدن والــقــرى التي يتحدث عـنـها الكروات هي مدن ذات غالبية إسلامية ، وقد ضمها الوسيطان إلى الأقاليم الكرواتية ، ونظرة فاحصة في بعضها يوضح الأمر:

المدينة	عدد السكان(**)	مسلمون	كروات	صرب	آخرون
موستار	126.067	%35	%34	%19	%12
ستولاتس	18.845	%44	%32	%12	%3
يابلانيشا	12.664	%72	%18	%4	%6
كونيتس	43.636	%55	%26	%15	%4
ترادينك	70.401	%45	%37	%11	%7
دوني واقف	24.232	%55	%7	%38	-
غورني واقف	25.130	%56	%42	%1	%1
بوغوينو	46.834	%42	%34	%19	%5

لم يختلف الكروات كثيراً عن إخوانهم الصرب في معاملة المسلمين في المناطق التي سيطروا عليها أو هاجموها . فقد طبقت القوات الكرواتية سياسة الصرب بحذافيرها إذا لم نقل أنهم "أبدعوا" أكثر في إجرامهم .
فسياسة التطهير العرقي وقتل المدنيين الأبرياء وإحراق القرى المسلمة على أهلها ونهب الممتلكات واغتصاب النساء والبنات القاصرات والذبح والتمثيل بجثث الشيوخ والأطفال أو زجهم في السجون وإجبار المدنيين على حفر

الخنادق في خطوط القتال مع المسلمين أو استخدامهم كدروع بشرية في المواقع الكرواتية.. من معالم "الوفاء الكرواتي" لمسلمي المنطقة .

مشاهد وأمثلة :

رافــق الهجـــوم العـسـكـري تخطيط لإذابة أي وجود إسلامي في تلك المناطق التي يعتبر المسلمون غالبية في معظمها وذلك من خلال تطبيق الإجراءات التالية :

- فرض اللغة الكرواتية في جميع المراحل الدراسية عند المسلمين في الأقاليم التي أصبحت من نصيب الكروات وفرض مناهج التدريس في جمهورية كرواتيا .
- إلغاء اسم "جامعة موستار" وفرض اسم "الجامعة الكرواتية بموستار" .
- تدمير المساجد (وبعضه ضارب في التاريخ قدماً إلى ما يقارب الـ 500 سنة) وإقفال جميع المؤسسات الإسلامية أو ذات الـتـوجــه البوسنوي المسلم . وقد نقلت أجهزة الإعلام صور المساجد المدمرة والمآذن المتهاوية شاهدة على المؤامرة الصربية - الكرواتية وخذلان العالم الإسلامي لهم . وقد تزامن ذلك مع حملة الصرب لتدمير المساجد ، خاصة الأثرية منها ، في بانيالوقه وغيرها.. وقف مراسل التلفزيون البريطاني أمام أنـقــاض منزل أحـــرق كغيره من منازل القرى التي هاجمها الكروات وقال: "إعتقد بأن المشهد لا تتحمله أعصاب المشاهدين ، ولكن لا بد من القول أن ما يحصل هنا أقـــــل ما يمكـن وصفه هو أنها حملة لا ترحم طفلاً ولا امرأة ولا عجوز.. إنها حرب ضد الإنسان وحضارته" .

استخدمت القوات الكرواتية في جميع الجبهات الدبابات والمدفعية الثقيلة لقصف المدنيين وضرب تجمعات اللاجئين .

- يوم 16/4/1993 مسحت القرية المسلمة الشهيرة "أحميتشي" في بلدية (فيتيز) بالأرض . وقد نقل شهود عيان - ومنهم أفراد القـــــوات الدولية - أن الكروات أشعلوا النيران في البيوت وأجبروا الأمهات مع أطفالهن والعجائز على القفز من الدور الثاني أو الثالث من المنازل الملتهبة . ثم بدأوا يجربون مهارتهم القتالية بإطلاق النار عليهم وهم في الهواء.. والملفت للانتباه في القضية أن الإعلام الكرواتي أشاع أن المسلمين قاموا بإحراق البلدة وقتل أهلها "بهدف إثارة الخلافات بين المسلمين والكروات"!!
- أحرق الكروات قرى روتيلويشينيسا وباليز ونهبوها واغتصبوا النساء والبنات القاصرات وأحرقوا المساجد وساقوا أكثر من 2.800 مسلم إلى ثكنة الجيش بينهم الأئمة والدعاة وأبرز المثقفين في المنطقة لتبدأ معهم سلسلة التعذيب والتقتيل.. الأخوي .

هذا غيض من فيض ما نشرته وسائل الإعلام الغربية والعربية وما لم ينشر فحدث عنه ولا حــــرج . وبالتحديد الاتفاق الذي نشرت تفاصيله الصحف العالمية في 16 حزيران 1993 حيث توصل الكرواتيون والصرب في مدينة

تشيليبيتشي جنوب غرب البوسنة والهرسك إلى اتفاق ينظم عملية نقل السكان واستكمال عملية "التطهير العرقي" بينهما بدون إراقة دماء إن سياسة "فكي الكماشة" التي يتعاون الصرب والكروات على تطبيقها لكسر المسلمين تؤكد كلمات الرسول الأعظم - وكل ما قاله حق - "أمة الكفر واحدة" وصدق الله القائل : ((ولَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ ولا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ..)) [البقرة:120] .

صناعة فلسطين جديدة :

أوجـــــه الشبه بين مأساتي البوسنة وفلسطين أكثر من أن تعد وتحصى . ففي كلا البلدين نجد أن العصابات والمرتزقة تأخذ بزمام المبادرة لتقوم بحملة شعواء على الأهالي الأصليين في البلاد فتذيقهم أشد التنكيل في عمليات وحشية من قتل وبقر بطون الحوامل من النساء ، والاعتداء على الأعراض والممتلكات كتفريغ البلاد من أهلها الأصليين لتهيئتها لقدوم جحافل من مرتزقتهم لتقيم دولة على أنقاض دولة أهل الحق من أبناء البلاد .
وفي كلا الحالتيـن وقف العالم "المتحضر" إلى جانب المعتدِي لأن المعتدَى عليه هو الإسلام وأهله . وطـبـعـاً فإن الأمم المتحدة ، والتي وجدت لمثل هذه الأغراض ، لا يسعها إلا أن تتبنى مواقف الكبار فيها وهم الأوربيين والروس وأميركا ، وموقفهم وتاريخهم مع الإسلام معروف .
ففي عام 1947 لجأت الأمم المتحدة إلى حيلة قذرة لتكريس شرعية الاحتلال اليهودي بتبني قرارات التقسيم لتبدأ مرحلة الحوارات التي لم يحصد أبناء فلسطين إلا مزيداً من الـويـــــل والضحـايا والضياع. وهل يختلف الأمر كثيراً عندما تتبنى الأمم المتحدة في 5/6/1993 قرار تقسيم البوسنة "على أن يبدأ بعدها الأطراف الثلاثة مفاوضات من أجل حل القضية بالطــــرق السلمية". فهل حلت المفاوضات السلمية قضية ملايين اللاجئين الفلسطينيين وأين أصبح الفلسطيني اليوم ؟!
كتبت جريدة الاندبندنت البريطانية (25/5/1993) مقالاً تحليلياً بعنوان "فلسطين أخرى قيد التصنيع" (**Another Palestine in the Making**) نترجم منه النقاط التالية :
"بغض النظر عن صحة أو خطأ الاتفاق الأميركي الأوروبي فإنه - أي الاتفاق - لا بد أن يُرى على أنه نموذج آخر لنتائج أول حرب عربية-إسرائيلية عام 1948 والتي أدت إلى تهجير 70.000 فلسطيني من بيوتهم . الأمر الذي أدى إلى تسميم ليس المنطقة فحسب بل والعلاقات الدولية منذ ذلك الحين" .
وسيراً على منهج الصـحـافـــة الـغـربـيـة - والعربية هذه الأيام - في التحذير من الإسلام و"أصوليبه" فقد أضافت الأندبندنت : ".. المحزن جداً والخطير في هذه القضية أن هؤلاء الضحايا من الاعتداءات الكرواتية والصربية وغياب القرار الغربي هم الذين قدموا أنموذجاً جيداً لمجتمع متسامح متطور وغير متدين من المسلمين . إن سقوط مثل هذا المجتمع تحت ضربـات

الديموقراطية الغربية سوف تجعل من هذه الفئة من الناس أرضاً خصبة للمتطرفين والأصــولـيـيـن المسلمـيـن من إيرانيين وسعوديين . إن السعودية لن تتردد في مساعدة ودعم هؤلاء الناس لبناء مــــدراس وجامعات ومساجد . وطبعاً فلن يكون هناك نقص بالإمدادات العسكرية التي سوف يستخدمونها لتوسيع دائرة "مناطقهم الآمنة".. وعندها فإن التاريخ لن يرحم المسؤولين عن مثل ما سوف يحدث"!!
يهاجمون المسلمين ويخوفون منهم حتى في أحط وأدنى مراحل وجودهم .
نعم إن المعركة ضد الإسلام سوف توقظ كثيراً من النائـمــيـن فـي تلك البلاد ، ولكن هل هي حرب ضد "المتطرفين" المسلمين في البوسنة والهرسك ؟ وهل لهم وجود هناك ؟!
هل يقتل الطفل ابن الأشهر الثلاثة - حتى الجنين في جوف أمه المغتصبة - لأنه متطرف أصولي يهدد بقنابله ومتفجراته سلام العالم وأمنه واستقراره . ((قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ))!
الاجتماع الثلاثي الذي حضره رؤساء كل من صربيا وكرواتيا والرئيس البوسني علي عزت في جنيف في 16/6/1993 على ما يبدو قد وضع النقاط على الحروف وأسدل الستار عن آخر مشاهد المسرحية - المأساة التي سميت مفاوضات السلام .
فالاجتماع أسفر عن خطة "معدلة" لمشروع فانس - أوين يـنــص عـلـى تقسيم البوسنة إلى ثلاث دويلات عرقية بدلاً من عشرة أقاليم . وبهذا يكون الصرب والـكــــروات قد بدأوا المرحلة الثانية بعد الإجهاز على الهيكلية السياسية والعسكرية لحكومة البوسنة وشعبها في المرحلة الأولى .
المرحلة الثانية هي بعينها إرهاصات المرحلة الأخيرة والتي تـهـدف إلى إتمام المشروع بضم الأجزاء المغتصبة من البوسنة وضمها إلى دولتي صربيا وكرواتيا لـيـبـقـى الجانب الإسلامي هـــو الطرف الخاسر الأوحد في معركة رفع فيها المسلمون خيرة أبنائهم وأكـلـت ماكـيـنـة الحرب إمكانياتهم ولوثت كراماتهم أمام عدسات العالم المتحضر!!
فهل يعتبر المسلمون من أن جولة السكين ليست بعيدة عن أعناقهم إذا لم ينتبهوا ويواجهوا مأساتهم والواقع بأنفسهم وليس باستجداء العدالة والنصر من مؤسسات قامت أصلاً لإذلال المسلمين وكسر شوكتهم . غداً تنتهي السكين من أعناق مسلمي البوسنة والهرسك لتعمل في رقاب مسلمين آخرين في مكان ما من العالم . وتـسـتـمــر العلاقات الرسمية مع حكام صربيا وكرواتيا لأنهم من "الدول الصديقة" ومن "مجموعة دول عدم الانحياز" وكأن شيئاً لم يكن . وبين شدة وصرامة الأمم المتحدة في الصومال وضـعـفـهـــا وليونتها في البوسنة يبقى الدم الإسلامي يسير مهراقاً باسم الشرعية الدولية .

أرقام للمقارنة(***)

المسلمون 45% من السكان يسيطرون على 14% من الأرض

الكروات 17% من السكان يسيطرون على 13% من الأرض
الصرب 31% من السكان يسيطرون على 70% من الأرض
سراييفو ومحيطها : منطقة سيطرة مشتركة .

خطة المناطق الآمنة

الخطة تحِّول مناطق المسلمين إلى مخيمات كبيرة تعج باللاجئين دون أي ضمانات مستقبلية أو مقومات الاستقلال . الخطة الأخيرة التي وافق عليها الصرب والكروات وديفيد أوين ورفضها المسلمون لم تنشر تفاصيلها بعد ولكنها تقترح تقسيم البوسنة إلى ثلاث ولايات : واحدة للصرب وأخرى للكروات وثالثة للمسلمين (وتتألف من شقين الأول في وسط البوسنة والثاني في مقاطعة بيهاتش في الشمال الغربي من البلاد مع حق استخدام مرفأ على البحر الأدرياتيكي تحت حماية الأمم المتحدة) . والخطة تقلص مناطق المسلمين أكثر مما اقترحته خطة فانس أوين وتبقي على المناطق التي احتلها الصرب والكروات كجزء من ولاياتهم .

الهوامش :

1- الاندبندنت ، 3/5/1993 .
2- الغاردين , 26/5/1993 .
3- التايمز ، 26/5/1993 .
4- الاندبندنت ، 27/5/1993 .
5- الإيكونومست ، 327 تاريخ 29/5-4/6 1993 .
6- الاندبندنت , 27/5/1993 .
7- الحياة ، 29/5/1993 .
8- الغاديان , 29/5/1993 .
9- الحياة 29/5/1993 .
*- إشارة إلى الاتفاق السري بين كراوتيا تودجـمـــــان والصــربي ميلوسوفيتش في مدينة كارجورجيفو عام 1991، وقد نشرت الصحف الألمانية تفاصيل الاتفاقية في يونيو / حزيران 1992 .
**- الأرقام الواردة في الجدول مأخوذة من مصادر رسمية ولكن المسلمين وإحصائياتهم تفيد أن أرقام المسلمين ونسبتهم أكثر من ذلك.
*** الأرقام الأصلية قبل التهجير القسري

كابل
وأزمة التحالفات الهشة

أحمد الإدلبي

رغم مرور عام على وصول المجاهدين الأفغان للسلطة في كابل لم تظهر في الأفق أية علامة على اتفاق فيما بينهم بتشكيل حكومة جـديــدة(*) مجـمــع عليها من قبل كافة الأطراف لتدير البلاد بقوة وحزم خاصة في بلد عُرف بتنائي أراضيه وعـــــدم تـوفــــر المواصلات والاتصالات بين الولايات وبين الأطراف والمركز أيضاً إلى جانب قيام كل حــزب أو فصيل أو قبيلة بإدارة شؤون منطقتها بمعزل عن الآخرين خاصة مع إقامة إدارة كل إقليم علاقات مع دول مجاورة تسهل عليه التمويل والاتصالات والخبرات ونحو ذلك. ومـا تـزال الـخـريطة الأفغانية مرشحة لـعـديـد من الهزات والزلازل ما دامت خـريـطــــة التحالفات في تـقـلـب مستمر فحليف الأمس عـــدو اليوم والعكس صحيح . خاصة وأن هذه التحالفات لم تقم عـلــى أرضية مشتركة في الـهـــدف والمصير والواقع وإنما تحالفات آنية تفرضها ظروف وقتية إما بظلم الأخ لأخيه حيث يـدفـــع الواحد منهم لإيجاد أي تحالف مع عدو الأمس حتى يستطيع الصمود أمام عاديات المرحلة .
لعل الاجتماع الأخير الـذي ضــم الرئيس برهان الدين ربـانـي ورئـيس وزرائه قلب الدين حكمتيار وعبد رب الرسول سياف أمير الاتحاد الإسلامي في بغمان (20 كـم غـــرب كابل) حيث معقل الأخير لعل هذا اللقاء يجسد جانباً من الأمل الذي طالما دغدغ المخلـصـيـن من أبناء الأمة في لم شمل المخلصين الذين حمَّل بعضهم جانباً مهماً من المأساة لسياف الــذي وقـــف إلى جانب الحكومة في كابل والـتـي تضم جنرالات الشيوعيين البارزين أيام حكم نجيب الله من أمثال الجنرال عبد الرشيد دوستم والجنرال باباجان قائد الفيلق المركزي في كابل والقائد عبد المؤمن قائد الميليشيات الشيوعية المعروفة إضافة للجنرال آصف ديلاور ، وفريد مزدك وبابرك كارمل ومحمود بريالي وآخرين .
وتقول مصادر الحزب الإسلامي في بـيـشـاور: إن اجتمـاع بغمان كان مشجعاً حيث علق حكمتيار آمالاً على اللقاء والذي وافق فيه رباني وسياف على إرسال وزرائهم إلى مجلس الوزراء الذي يقوده حكمتيار حيث كان وزراء الحزبين قد تغيبوا عن اللقاءات التمهيدية للحكومة في محاولة وصفت بأنها إصرار على إفشال حكمتيار في لقاءاته ، ويبني المعلقون والمراقبون كثيراً على اللقاء لأنه الوحيد الذي حصل مـنـذ سـقـــوط نجيب الله في إبريل (نيسان) العام الماضي بدون وسطاء خارجيين أو داخليين . ويبدو أن لقاء بغمان إن كان كما صُوِّرَ من الإيجابية والتفائلية فحينها سيكون على هذا التلاحم بين القادة الثلاثة أمرين:
الأول: ما بدأ يظهر على العلن من لقاءات بين قادة الفصائل الشيوعية من خلق وبرشم حيث عقدوا في مارس (آذار) الماضي لقاءً في موسكو ، ثم تبعه اجتماع في مدينة بيشاور معقل حزب العوام القومي - (اليساري) التوجه- ، والذي يقوده عبد الولي خان ، وكان من ضمن الحاضرين سليمان لاتعد وزير

الحدود والقبائل السابق والجـنـرال محمد رفيع نائب الرئيس نجيب الله سابقاً والجنرال أسلم وطنجار وزير الدفاع الـسـابـق وبابـــرك شنواري رئيس منظمة الشباب الشيوعي وغيرهم كثير .
ومعلوم أن قادة الحزب الشيوعي الأفغان بشتية (برشم) الراية ، وخلق (الشعب) قد تفرقوا بين مزار شريف - حيث معقل المليشيات الأوزبكية بزعامة الجنرال عبد الرشيد دوستم الذي فك ارتباطه شكلياً مع نجيب الله في أبريل (نيسان) العام الماضي ليتحالف مع أحمد شـاه مـسـعــود رئـيـس مجلس شورى النظار للإطاحة بنجيب الله - وبين موسكو ودلهي وبيشاور ويعمدون حـالـيـاً على تجميع أنفسهم بالتحالف مع المعتدلين من الأفغان خاصة الجبهة الإسلامية التوجـــه بزعامة بيرسيد أحمد جيلاني لعقد اجتماع في قندهار معقل الملك الأفغاني ظاهر شاه للمناداة به كملك للبلاد . وكان بعض القادة من الحزب الشيوعي (الوطن حالياً) زاروا مقره وناقشوا المسؤولين هناك بالأمر . وتجدر الإشارة إلى أن جيلاني نادى مؤخراً وعلناً بعودته رغم توقيعه اتفاق جلال آباد الذي ينص على عقد انتخابات عامة ولعقد لوياجركا الذي سينجم عنه بالتأكيد عودة الملك الأفغاني السابق .
ويرى البعض أن تجميع الشيوعيين أنفسهـم مع المعتدلين بحيث تكون السلطة السياسية القوية في البلاد سيسهل عملية تزاوج أو تحالف بين هذه السلطة والسلطة العسكرية التي يقودها دوستم في مزار شـريـف خـاصـــة مع هروب (خانو) رئيس ميليشيات هلمند أمام هجمات مشتركة للجمعية الإسلامية والحـــزب الإسلامي حيث فر مع قادته إلى دوستم الأوزبكي رغم أنه بشتوي مما يؤكد أن الرابطة الشيوعية لديهم فوق الرابطة العرقية .
أما الأمر الثاني فهو ما تسرب من معلومات عـــن انقلاب يقوم به دوستم ومسعود وبعض المعتدلين على الرئيس رباني لإقصائه عن الرئاســـة "وتنصيب شخصية معتدلة" وبهذا تستبعد أي تسوية مستقبلية في البلاد .
لعل هذا أو ذاك أو أموراً كثيرة دفعت بالمخلصين للالتقاء ، ولكن يبقى القول أن تحالفات أفغانستان ليس لها أرضية ثابتة صلدة ، وإنما تحالـفـــات آنية فهل سيكون ذلك ضمن المعادلة الأفغانية للتحالفات أم أنه سيكسر القاعدة ويخـيــب ظــن الشائنين والمعتدين ؟

الهوامش:

*- أخيراً "أدى رئيس الوزراء الأفغاني قلب الدين حكمتيار وأعـضـــاء حكومته القسم الدستوري في قلعة حيدر خان في منطقة بغمان على بعد 20 كيلومتراً غرب كابول بحضور الرئيس برهان الدين رباني ، وزعيم الاتحاد الإسلامي عبد رب الرسول سياف" وذلك يوم الخميس 17/حزيران/1993 م ، 27 ذو الحجة 1413 هـ .

-البيان-

الأمم المتحدة : صقر الصومال وحمامة البوسنة

- التحرير-

توالت الأحداث متسارعة في الصومال حيث تحولت مهمة جنود القوات الدولية من "إغاثة الجائعين" وتأمين "المساعدات الإنسانية" و "إحلال السلام" ، كما ورد في قرار الأمم المتحدة ، إلى كتيبة تزرع القتل والدمار والدماء في جميع أنحاء العاصمة مقديشو وذلك بحجة تأديب "أمراء الحرب" أو (لوردات الحرب) كما يُطلق عليهم و "المسؤولون عن تفلت الأمن في البلاد" .

الأجواء السياسية والعسكرية كانت تنذر وتنبئ بما حصل. فقد فشلت(*) "الأمم المتحدة ، ومن قبل أبناء البلاد وقادته في إيجاد صيغة حل سياسي يزيل عن الصومال غبار الحرسب ويمسح دموع الثكالى والأيتام والأرامل الذين أنهكهم القتل وأضناهم الجوع .

أشعلت الشرارة عندما قامت قوات مؤلفة من أميركيين وباكستانيين بقيادة جنرال أميركي بهجوم مفاجئ فجر يوم السبت 5/6/1993 على مبنى الإذاعة التابع للجنرال محمد فارح عيديد مما أسفر عن مقتل أفراد الحراسة وبعض المدنيين إلى جانب احتلال الإذاعة والسيطرة عليها . وقد قام عيديد أثناء الغارة باستدعاء قواته واستنجد بأعوانه الذين تدفقوا بالآلاف مدججين بسلاحهم . عندها انسحبت قوات الأمم المتحدة من موقع العملية واستعادت قواته السيطرة على الإذاعة مصحوباً بجماهير مسلحة غاضبة صبت جام غضبها على كتيبة باكستانية كانت توزع المساعدات في إحدى المدارس حاصدة 23 جندياً. تلت ذلك عملية انتقام للقوات الباكستانية حيث أطلقت النار على المتظاهرين فقُتِلَ عشرات الصوماليين .

الجدير بالذكر أن القوات الأميريكية تستخدم غيرها من قوات الدول الأخرى كحرس لها ، فبينما تدير شؤون المطار واستقبال الرحلات وإدارة شؤون المرفأ ، فإن الحراسة تقوم بها قوات أخرى . حتى السفارة الأميركية يقوم على حراستها جنود غير أميركيين مما يضع هذه القوات في الصف الأمامي وفي حالة صدام مباشر مع الصوماليين وهذا ما يفسر وقوع ضحايا من غير القوات الأميركية كالباكستانيين مثلاً .

وتفيد المصادر أن الأميركيين والذين يسيطرون على القرار السياسي الصومالي لا يسمحون لغيرهم من القوات بالمشاركة في اتخاذ القرارات ، حتى للقوات الأوربية الموجودة هناك . وقد بدأت تظهر علامات التذمر

حيث كتبت الصحافة الألمانية عن تحجيم دور وصلاحيات القوات الألمانية وانتقــدت الهيمنة الأميركية في الصومال وجمدت الحكومة الألمانية إرسال الإمدادات العسكرية والإنسانية التي كانت مقررة من قبل. وتهدف الإدارة الاميركية من وراء ذلك تكوين حكومة صومالية أحضرت لها شخصياتها مـــن الصوماليين الذين يعيشون في أميركا منذ عشرات السنين . وهذا ما يفسر بعض التصادم في المصالح بين عيديد وصاحبة "الأيدي البيضاء" أميركا .
الأخـبـــار التي احتلت عناوين الصحف والمجلات والإذاعات - والتي تعتبر الأسوأ من نوعها بالنسبة لجنود الأمم المتحدة منذ مقتل المئات منهم في كمبوديا في أوائل السبعينيات - أخـــذت بُعداً جديداً عندما استنكر مجلس الأمن "الجريمة" ووعد بملاحقة المسؤولين وبالفعل صدر قرار الأمم المتحدة رقم 837 القاضي بملاحقة ومعاقبة قادة التحالف الوطني الصومالي . وقد تعهد الأميركيون بالقيام بالمهمة مذكرين العالم باجتياح "بنما" واعـتـقـال رئيسها "نورييغا" .
الأيام التي تلت ضجت بأخبار الصدامات بين المتظاهرين و "جنود السلام" حيث حــصـد رصاصـهــــم عشرات القتلى من نساء وأطفال وعُزَّل خرجوا إلى الشوارع متظاهرين ، ثـــم استكملت القوات الدولية مهمتها عندما بدأت حرب شاملة في نقاط متعددة من العاصــمــة ومناطق أخرى استخدمت فيها الطائرات والدبابات والصواريخ في عملية هدف إلى "إسقاط عيديد" عسكرياً واعتقاله ومحاكمته كمجرم حرب ، النتيجة طبعاً دماء المسلمين الــعــزل وجنود عيديد الذين امتلأت شوارع العاصمة بهم حيث تحدثت الأرقام عن مئات القـتـلى والجـــــرحى ونزوح الأهالي بعد أن دمرت بيوتهم وأحرقت محلاتهم في عملية "شرعــيـــة دولية" لإعادة السلام إلى البلاد .
الغياب الإعـــلامي العربي والإسلامي من الساحة الصومالية أعطى للإعلام الـغـربــي ومن ورائه الإعلام الأميركي بشكل خاص فرصة ترجمة الأحداث وتشكيلها ورسـمـهـا في عقول الناس كما شاءت وبما يتناسب والمصلحة الغربية .
عيديد الـــذي تواجهه الأمم المتحدة مسؤول كغيره من "قادة" الــصـومـال عن تدمير البلاد وإغراقها في حرب طائفية طاحنة أعطت الضوء الأخضر للأمم المتحدة لدخول الصومال . وعيديد نفسه خرج مصفقاً مهللاً لوصولها شاكراً المجتمع الدولي على تــعـاونــه ومساعدته لإيقاف المعارك وإعادة السلام إلى البلاد .
وعيديد نفـســـه الذي يحذر الصومال الــيـوم من "هجمة الصليبية الدولية" على المسلمين ويهدد "بإعلان الجهاد" لم يــكـــن غـيوراً على مستقبل الإسلام في الصومال بالأمس عندما رأى في الصليبيين أيدي خـيــــر وبركة سوف تدر بخيراتها على الصومال وأهله .. ويبقى الخاسر الوحيد هم الـمـسـلـمون الذين أوكلوا قـــيـادتــهم وسياساتهم إلى رجالات عقائدهم كالحرباء التي تغير لونها

حسب "الظروف" والمكان الـذي تـقـــف عليه . ولكنها "موضة" حكام اليوم وزعماء العالم الإسلامي يتحدثون عن الإسلام عندما يحتاج الأمر ليتحولوا لألد الأعداء عندما يمر الزلزال وتنتهي العاصفة وتثبت الكراسي .
الأصوات بدأت تتصاعد في أنحـــاء متعددة من الصومال للـتـحـذيـر من مخططات مشبوهة تهدف إلى استغلال المجاعة والحـــرب في هذا البلد لأغراض تـنـصـيـرية حيث أن مئات الجمعيات النصرانية تعمل بلا كلل في مخيمات اللاجئين وإقامة العـيادات ومآوٍ للعجزة والأطفال ، ومؤسسات الأيتام حيث تسهل لديهم إعطاء أبناء الصومال جرعة التنصير مع رغيف الخبز وحبة الدواء . وقد حـــذرت مصادر إغاثة إسلامية من احتمال قيام الأمم المتحدة بتنفيذ مخطط تنصيري تحت غطاء المساعدات الإنسانية في الأراضي الصومالية . وقالت أن الأمم المتحدة نجحت حتى الآن من خلال وسائل الإعلام الغربية في إقناع العالم أن ما يحدث في الصومال هو حرب قبلية بين الجنرال محمد فارح عيديد والرئيس المؤقت علي مهدي تمهيداً للمطالبة بوضــع هـــذا البلد تحت حماية الأمم المتحدة وتنفيذ برنامج "تبشيري" هناك .
الأحداث الأخيرة وغزارة الدمــــــاء - وهي دماء المسلمين من الطرفين - التي سالت فيها وضعت الأمم المتحدة موضع النقد ، وقراراتها موضع تساؤل .
لماذا هذا "الإصرار والعزيمة" و "الدقــة" فـي تطبيق قرارات الأمم المتحدة والضرب بيد من حديد "لإحقاق الحق" في الصومال بينما هـي مـجــرد اقتراحات و "تمنيات" و "قرارات لا تطبق" في البوسنة وفلسطين وكشمير؟
لماذا تصبح الأمم المتحدة "شحاذاً" يستعطي عندما تكون بصدد مناقشة مشروع قد يكون فيه بعض الخير للمسلمين ولكنها "تستغني وتكـتـفـي" ولا تحتاج للاستشارة والمشاركة عندما يكون في الأمر ضرب للمسلمين أياً كانوا ؟
ألا يرى المسلمون في العالم أن للأمم المتحدة وقواتها أنياباً تُلبسها إياه القوى العظمى - بالأحرى القوة الوحيدة العظمى اليوم - عندما تريدها أن تنهش لحوم "الخصوم" وتقتلعها متى شاءت !!

الهوامش:

*- ولعلنا نقول نجحت .

مقال

يائيل دايان والثوار والمبادئ

أحمد عبد العزيز أبو عامر

نقلت بعض الصحف العربية والأجنبية مؤخـــــراً نـبـأ لقاء (يائيل دايان) - عضوة حزب "مابام" الصهيوني - مع زعيم (منظمة التحرير الفلسـطـينية) وسروره بإهدائها له مذكرات والدها المقبور موشي دايان الذي سام الأمة

العربية والفلـسـطـيـنـيـين سوء العذاب بحروبه ومواقفه الدموية . ولقد فرح بعضهم حينما أعلنت : أنها ستعود إلى تل أبيب بانطباع آخر يدعو إلى فتح صفحة جديدة بين دولتها والمنظمة على أساس (وضع مــا يقارب نصف قرن من الصراع العربي الإسرائيلي في مزبلة التاريخ) هكذا ! مع إشادتها بالـزعـيـم الفلسطيني ووصفه بأنه صادق في توجهه للسلام بنسبة 100% ، وقد نقلت بعض الأوساط الفلسطينية إنه ربما تكون النائبة الصهيونية قد نقلت أفكاراً ومقترحات من (شمعون بيريز) للزعيم .
بغضّ النظر عن حقيقة هذه الزيارة والتي لا تخـفـى مبرراتها لكل متابع للأحـــداث على الساحتين (العربية والإسرائيلية) لا سيما بعد سـطـــوع نجم (منظمه حماس الإسلامـيـــة) وتعاطف الكثير من الفلسطينيين معها في الأراضي المحـتـلـة ، بعد تداعي المنظمة المترهلة) على عملية السلام بالرغم مما لحقها من إذلال (يهود) في عدم الاعتراف بها ورفضهم قبول أحد أعضائها في الوفد المفاوض إلا أنها تداعت على عملية السلام تداعي الذباب عـلــى الـشــراب . بينما العدو الصهيوني ما زال يُصِرُّ على أحقيته في الأراضي المحتلة ويرفض الجلاء حتى عن الأراضي المحتلة بعد نكبة (1967) ويكتفي بالقول : يمكن الجلاء عن "أراض" محتلة وليس عن "الأراضي" المحتلة .
فضلاً عما يقوم به من بطش وإرهاب هناك ، ومن آخرها الإبعاد المتمثل في نفي أربعمائة عنصر من خيرة الشباب الفلسطيني المتعاطف مع التيار الإسلامي . ولا يخفى ما يعانونه الآن من لأواء ومشـقـــة في (مرج الزهور) حيث الظروف المناخية السيئة المعروفة أمام سمع وبصر العالم المتحضر من أدعياء حقوق الإنسان بل وحتى حقوق الحيوان . وإزاء رفض الشعب الفلسطيني المغلوب على أمره لهذا الإبعاد ، وما قام به من مقاومة للإرهاب اليهودي لم يسلم من أبشع عمليات البطش حينما ضربت غزة مؤخراً بالطائرات مما يخالف كل النظم الدولية . وليس هناك من يُنكر تلك الأفعال غير الإنسانية أو يفكر حتى بإدانتها وتحذير العدو من تكرارها ، وما دام أن المتنفذين في (هيئة الأمم المتحدة) يهود أو متعاطفون معهم فلن ننتظر منهم أي إنصاف فضلاً عن إعطاء الحقـــوق لأهـلـهــا. والواقع أكبر شاهد ، حيث نرى تساهلهم أمام تعنت الصرب حيال جرائمهم ضد مسلمى (البوسنة والهرسك) .
أما تعنُّت الصهيونـيـــة أمام قــرارات (هيئة الأمم) - التي تصدرها لمن يخالف الأعراف الدولية وآخرها القرار رقم (799) بوجوب إعادة المبعدين لأرضهم فهذا ليس له عقوبة - مستغلةً تعاطف الإدارة الأمـيـركـيـة معها حينما قبلت بالتجاوب الجزئي لعودة المبعدين حتى وبعد جولة وزير الخارجية الأميركية في المنطقة والتي عاد منها "بخفي حنين" وما زال العدو مستشهداً بالقرار الأخير . هكذا وبكل بساطة تسير السياسة الأميركية وفقاً لرأي الصهايـنــة حـتـى ولـــو خالفت القرارات الدولية التي يفترض التزامها نصّاً وروحاً من الجميع،

ومن لا يلتزم بها يلزم بها قـســـراً ولو بالقوة ، عدا (الصهاينة) وتصبح قرارات (هيئة الأمم) حيالها غـيـــر ملزمة ، ويمكن الاكـتـفـاء بالحلول الجزئية حتى ولو كانت المخالفات تدينها كل الأعراف الدولية والإنسانية لا سيما في واقع المبعدين الأربعمائة وما يعانونه من ظروف صـعـبـــة لا يمكن بحال من الأحوال قبولها لو كانت لفئة أخرى غير مسلمة مهما كانت توجهاتهم أما (المسلمون فلا بواكي لهم) .

إن الكيل بمكيالين في السياسة الأميركية جعلها سياسة عوراء وأوضح ميولها الصهيونية التي لم تعد تخفى على أحد وهذا أصبح معروفاً للجميع ولا يجهله إلا مغفل ولا يتجاهله إلا مكابر عنيد . ويكفــي أن الإدارة الأميركية الجديدة جاءت بدعم (اللوبي الصهيوني) وحتى لا أكون متجنياً فـي قـولـي هذا أحيل القارئ الكريم إلى كتابين وثائقيين يوضحان الخلفيات الحقيقية للسياسة الأميركية وهما :

1- الخلفيات التوراتية للسياسة الأميركية (د. إسماعيل الكيلاني) .

2- البعد الديني في السياسة الأميركية (د. يوسف الحسن) .

إن ما يلزم بيانه والتنبيه عليه في هذا المقام هو مدى صدق الصهاينة مع مبادئهم وحدبهم عليها واستماتهم في الدفاع عـنـهـــا بكل السبل ، ويكفي أن نعرف أنهم أتاحوا المجال للأحزاب "الدينية الصهيونية" لـهـــا لتعمل في وضح النهار حتى صار لها دورها المؤثر في وصول أحد الحزبين للحكم ، ولهذه الأحزاب جهودها المؤثرة في المجتمع الصهيوني مما جعل الصهاينة يحترمون دينهم ومبادئهم ولا سيما في المواقف الدولية ولعلنا نتذكر رفض الوفد الصهيوني الاجتماع بعد حرب رمضان في خيمة "الكيلو 101" (يوم السبت) بينما رضي قومنا بالاجتماع في وقت صلاة الجمعة ومما يؤسف له أن كثيراً من المنتسبين لهذه الأمة ممــن ابـتـلـيـنا بهم قادة للأحزاب وزعماء للمنظمات ورؤساء للدول من الحاكمين بأمرهم، نجد أن آخر ما يفكرون به هو طاعـتـهـم لربهم واقتفائهم لسنة نبيهم -عليه الصلاة والسلام- لا سيما في التحذير من عداوة الكافرين وبخاصة (يهود) لما عرفنا من عدائهم وخُبْثِ نواياهم ، وحسبهم أنهم الأمة الملعونة في القرآن وقد حذر الإسلام من كيدهم ومكرهم فيما نقرأه من كتاب ربنا -جل وعلا- فهم الكذابون على الله بقولهم : ((إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)) [آل عمران 181] ، وبقولهم : ((يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا)) [المائدة 64] ، وهم المتمردون على الله تعالى بقولهم : ((سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ)) [المائدة 41] ، وفـي آيـــة أخـــرى : ((سَـمَّـاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ)) [المائدة 42] ، وهم المتمردون على رسل الله -عليهم السلام- : ((أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُـكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)) [البقرة 87] ، ولنقضهم العهود: ((الَذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ)) [الأنفال 56] ، ولجهودهم المستمرة في الإفساد: ((كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ

أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَـسَــاداً)) [المائدة 64] ، وحبهم الشر لغيرهم : ((وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ومَـــا تُـخْـفِـي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ)) [آل عمران 118] ، وتحريفهم للكتب السماوية : ((فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ)) [البقرة 79] ، وذلك غيض من فيض مما سجله القرآن عليهم من سيء الخلق وفاسد الأفكار مما ربُّوا عليه أجيالهم وأنشأوا عليه أبناءهم . فهم مخادعون كاذبون ومبغضون لكل ما عداهم ممن يسمونهم (الجوين) والذين يعتقدون بأنهم ما خلقوا إلا ليكونوا حميراً لهم لكي يركبوهم.

(يائيل دايان) واحدة من ذلك الشعب الملعون ، لها أفكارها الصهيونية التي تربت عليها ، وهي لا تقل خبثاً وعنصرية ولا كذباً من بني جنسها ، وسيتضح ذلك بجلاء في استعراض سريع لبعض نتاجها الفكري ؛ فَمَنْ هي هذه المرأة وما حقيقة توجهاتها ؟

يائيل دايان في دائرة الضوء :

هي ابنة وزير الدفاع الصهيوني الأسبق (موشي دايان) وهي كاتبة وروائية(*) صهيونية معروفة . وضعت أفكارها اليهودية في رواياتها نصرة لأمتها ودولتها مع الافتراء والعنصرية ضد العرب والمسلمين عامة والشعب الفلسطيني خاصة . وهي الآن عضو في حزب (مابام الصهيوني) .

كـتـابـهـــا الأول (وجـــــه امرأة) وهو مذكراتها الشخصية التي صاغتها في قالب روائي استعرضت فيه أيام طفولتها ، وكشفت القناع عن حالتها النفسية المضطربة التي عانتها من أب يكره البشر ويعتزلهم ويهمل عائلته . وأم وجدت أن زوجها لا يعيرها اهتماماً فعوضت ذلك بالعبث واللهو والفجـــــور. . وكيف دخلت (يائيل) الجيش باسم مستعار هو (إريال رون) وعرفت فيما بعد أنها ابنة وزير دفاعهم المشهور (موشي دايان) فساعدوها على سرعة الترقية وأتاحوا لها المجال في الدورات العسكرية فاجتازتها بسرعة حتى صارت مدرسة لوحدة من المجندات قبل إنهاء خدمتها العسكرية وكشفت الحقيقة عن جيش بلادها وما يحويه من فساد وفجور ، وكـيــف كان يلذ لها أن ترى الرجال يتعذبون وهي توقعهم في حبالها . ثم تتحدث عن حياة (المجندات اليهوديات) الإباحية وخاصة في المستعمرات ، وكيف أن نتاج السفاح الحاصل مـعـهن هم (أبناء المستعمرة) حيث يكون لهم بيت خاص ومربيات وميزانية خاصة وأن الأم هي التي تحدد والد الطفل في حفل خاص ، وتطرقت لفساد الشباب اليهودي وما يعيشه من أنواع الفواحش التي يُسرت لهم أسبابها في الملاهي وبيوت الدعارة.. وأنها حينما تخرجت جاء والدها ليسلمها شهادة التخرج.. ثم أوضحت في الأخير سوء حالتها الأسرية حينما طردها والدها في ليلة ماطرة فلجأت إلى بيت للدعارة وعاشت فيه أياماً في موقف حرج لكونها خالية الوفاض من أي شيء معها ، وفجأة أنقذت حينما لمحت صديق أسرتها (العسكري الإنكليزي بيتر) فألقت بنفسها بين يديه وشرحت له ظروفها

وعادت معه إلى (القدس) قبل احتلالها النهائي عام 1967 ، حيث يعيش في شقة الوحدة وقررت أن تكون عشيقته لتلهب قلبه وهو في الخمسين من عمره ثم تتركه لتحطم قلبه!!ثم بينت كيف توسط لها للعمل مشرفة اجتماعية لمساعدة (اليهود المهجرين) للوطن المحتل حيث عملت في ذلك العمل بكل جهد.. ثم بينت التفرقة العنصرية بين اليهود الشرقيين (السفارديم) واليهود الغربيين (الاشكناز) ثم كيف حلت محل (بيتر) في مراسلة صحيفة بريطانية بعدما سافر بيتر إلى بلده وراسلها مشيداً بتقاريرها التي تنشرها الصحيفة ثم فاجأته بزيارتها لندن حيث استقبلها بكل شوق وعلى ضوء حياتها الإباحية معه كتبت مذكراتها الوقحة تلك .

والحق يقال إن (يائيل دايان) في كتابها هذا أقل غطرسة في الحديث عن العرب وعن اليهود حيث وجدناها أكثر واقعية، وأقل تزييف لقربها من الأحداث ومعايشتها لما يدور في الداخل بعكس كتابات اليهود خارج الأراضي المحتلة لفقدانهم الموضوعية وللجوئهم للمبالغات ، وخضوعهم للتناقضات ، وهي على كل صهيونية تكتب لخدمة مبادئها وإفساد الآخرين .

ثانياً : روايتها (للموت ولدان) وهي عبارة عن نسيج من بطولات وهمية "للسوبرمان الصهيوني" القاتل والحاقد واجترار لحوادث ماضية من معاناة اليهود المزعومة على يد النازية حيث تبدأ الرواية بوصف عملية العذاب التي تعرض لها (حاييم كالنسكي) وفقده لولديه وبيته ، ومقتل زوجته وتشرده ، وجهله كل شيء عن مصير ولده (دانييل) الذي رحل على متن قارب من (البيريه) في اليونان إلى الأرض المحتلة مع عدد من الأطفال اليهود اليتامى إبان (الحرب الهتلرية) حيث التقى (دانييل) مع صديق عمره (يورام) وعاشا في (مستعمرة جلعاد) وهناك كبر وهو لا يعرف له أباً غير (إسرائيل) ولا صديقاً إلا (السوبرمان : يورام) وصديقته(ريتا) عشيقة(يورام) ، وفي حرب 1967 م انتقلا إلى سيناء حيث لقي صديقه يورام حتفه بلغم مصري . وبعد مراسلات طويلة وبحث شاق يتوصل (حاييم) إلى معرفة مكان ابنه (دانييل) فيجيء إليه في الأرض المحتلة بعد أن تزوج الأب من أخرى وأنجب ابنته (مريم)، ثم يصاب بالسرطان ويموت بمستشفى بئر السبع وحيداً بعد خلاف مع ابنه (دانييل) ويجتمع شمل الأسرة هو واخته مريم وزوجها وطفلها . وقد وضحت الكاتبة أثر تربية المستعمرة لدانييل على المبادئ الصهيونية الحاقدة وتطبيقه دروس القتل التي تلقاها ضد العرب وكيف كان يمارس (رجولته)!! كما تراها في القتل كوظيفة ، وكيف أصبح الحقد لديه شيئاً طبيعياً . والرواية أشبه ما تكون بدعاية إعلانية مكشوفة لاحتوائها على الأفكار الصهيونية التالية :

1- دعوة يهود العالم أجمع لتأييد دولتهم والإيمان برجوعهم لأرض الميعاد المزعومة .

2- العرب لديها مجرد متسولين يبحثون عن المال حتى بالدعاء من أجل المرض مقابل دريهمات .
3- الدعاية السياحية المزينة لحياة (الكيبوتزات) التي تغري أطفال العالم بالهروب إليها لأنها جنة العصر الموعودة لليهود .
4- إمبراطوريتهم يجب أن تمتد حدودها حتى الفرات كما توضحها طموحاتهم الصهيونية المزيفة .
5- وضع نموذج "السوبرمان الصهيوني" الذي له قدرة على استيعاب الأشياء وهضمها والاستفادة منها مع البطولة الخارقة .
والخلاصة أن هذه الرواية مجرد دعاية صهيوينة في ثوب أدبي حاكت فيه الكاتبة قصة حاييم اليهودي ، والذي كان له ولدان الأول (شمؤيل) الذي قتلته (النازية) والآخر (دانييل) الذي نجا بأعجوبة! ويكاد يقتله العرب اليوم !
وتناست الصهيونية الحاقدة كيف تحول (دانييل) إلى هتلر جديد في الأرض المحتلة إذ جعل القتل والحقد وظيفة له ضد الشعب الفلسطيني المغلوب على أمره .
ثالثاً:روايتها (طوبى للخائفين) وكانت المؤلفة فيها أكثر قدرة على مسايرة الفكر الصهيوني وتطلعاته ووضعها القيَم كلها بما فيها (الدينية) بمرتبة الوسائل التي يمكن الصعود عليها، فالصبي (نمرود) بطل الرواية هو التعبير الحقيقي عن الأطماع الصهيوينة، وهو رمز للجيل الذري يُهيّأ لممارسة القوة ، أما "جيديون" فهو النموذج . وطموح الآباء والأجداد لتربية أبنائهم على مشاكلهم ليعبر حقيقة عن الفكر الصهيوني الإرهابي فهو نمـوذج لـلـقــــوة الجسدية والاستهانة بالأخطار حيث يشترك في أعمال إرهابية ضد الفلسطينيين ثم يعود سالماً إلى مستعمرته .
هذه حقيقة (يائيل دايان) ، تلك الصهيونية الحاقدة الفاسدة المفسدة تبينت لنا أفكارها بجلاء بما عرفناه من استعراض سريع لبعض أعمالها الأدبية المشهورة وفيها تتضح بجلاء منطلقاتها الصهيونية وتصوراتها التوراتية ، ومبادئها الانتهازية الميكافيلية . فإلى متى نبقى ساذجين ، نصدق دعواها وقومها بالرغبة في السلام بينما هم يغتصبون أرضنا المباركة ، ويقومون ليل نهار بالإرهاب لأهل الأرض المحتلة . وكتبهم الدينية تنطق بتلك الأسس الإرهابية وأكثر ، ويتضح لنا أن أدبها فيه كل خصائص أدب العدوان الصهيوني الذي يحاول اجتذاب اهتمام العالم ويعمل جاهداً لإجهاض أدب المقاومة العربية ضده ولا سيما ما ينطلق من أطر وتصورات إسلامية . ومن أبرز ملامح الأدب الصهيوني ما يلي :
1- توظيف مـعـانـاتـهـم المزعومة من الحرب النازية ضدهم وقد تبين مؤخراً أن جلّ هذه الدعاوى مبالغ فيها ، وتبين كذبها وزيفها ، وكُتِبت فيها دراسات علمية من أهمها : (هل فعلاً قتل 6 ملايين يهودي) وهو بحث من تأليف (روبير موريسون وماري بول ترجمة ماجد حلاوي)، وانظر أيضاً إلى كتاب (الأكذوبة الكبرى: حرق 6 ملايين يهودي، للأستاذ أحمد التهامي سلطان) .

2- احتقار كل ما هو غير صهيوني كما أوضحته كتبهم المحرَّفة ولا سيما كتابهم المخترع (التلمود).
3- إظهار شخصية الصهيوني (السوبرمان) المتفوق جسدياً وعقلياً وحضارياً .
4- احتقـار الـعـرب بصورة خاصة وجعلهم في صورة متخلفة لتبرير معاملتهم باحـتـقـــار واستخفاف .
5- إفساد الشعوب بإشاعة الفواحش والإباحية سلوكاً اجتماعياً عادياً .
6- عداوة أمتنا باستمرار مثلما شربوها مع الحليب صغاراً وتربوا عليها كباراً مما لا يمكن بحال أن يأمنوا المسلم أو يأمنهم المسلم لما يعرفه عنهم من أخلاق منحطة وسلوك همجي .
7- الغاية في مناهجهم الفكرية والدينية تبرر الوسيلة، والزعم بخلاف ذلك عندهم محال.
والخلاصة : أن يائيل دايان تؤمن إيماناً جازماً بمبادئها لأن ما تلقته من دروس في حياتها جـعـلـهـــا تعمل بكل دأب لصالح عقيدتها وأعمالها الأدبية تنطلق من منطلقات عقائدها وكونها الـيـوم نائبة في حزب سياسي لا شك له أيديولوجيته ومنطلقاته الفكرية التي تعمل لخـدمــة شعب إسرائيل فحالها ليست كحال كثير من بني جلدتنا ممن يعيشون بعيداً عن مبادئ دينهم،ويعملون غالباً وفقاً لمنطلقات فكرية وأيديولوجيات حزبية لا تمت لمعتقداتهم بأدنى صلة بل ربما كانت تضرب بالدين الإسلامي عرض الحائط بدعوى التقدمية والتمدن لأنهم أذناب لجهات شتى ، وعملاء لأعداء الإسلام فأي خير فيهم وقد تجردوا من قـيـــم وأخلاق ديننا الحنيف .

الهوامش:

*- ترجمت لها عنوانها "غبار" ونشرتها مجلة الموقف الأدبي في دمشق سنة 1974م أثناء مسرحية حرب الاستنزاف !!

- البيان -

منتدى القراء

صدمة وحيرة

محمد بيومي

طالعت ما كتب الأخ "عادل التل" تحت عنوان "أخطار النزعة المادية في العالم الإسلامي" فأصابتني صدمة وحيرة ؟!
أما الصدمة: فكان سببها تلك الأفكار التي نقلها الأخ عادل التل عن جودت سعيد ، فمما لا شك فيه أن هذه الأفكار والعبارات - التي سُطرت بها - تصدم كل مفكر ينتمي إلى أهل السنة والجماعة وتدعه في حالة من العجب: كيف

تأتي هذه الأفكار وتصدر تلك العبارات عن رجل مثل "جودت سعيد" يعمل في حقــل الدعوة الإسلامية ويسعى لحل مشاكل الأمة الإسلامية!!

وأما الحيرة: فـكـان مـنـشـؤهــا أن بعض الـكـتـاب الإسـلاميين من أمثال "الأستاذ محمد العبدة"(1) "والدكتور محمد بن صامل السلمي"(2) وغيرهما قد نقل عن جودت سعيد وعن ذات الكتب التي تناولها الأخ عادل التل بالنقد ، كما أن مجلة البيان قد نشرت مقالات (3) لبعض الأخوة وبها استدلالات بآراء جودت سعيد!!

لقد دفعني ذلك إلـى الـحـيــرة، وألجأتـنـي الحيرة إلى تفكير طويل لعلي أجد لهذا الأمر تفسيراً، وأَصِلُ من هذه الحيرة إلى مخرج ؟! وبعد التفكير الطويل لم أجد إلا هذا التفسير الذي أرجو الله -عز وجل- أن يكون موفقاً :

1- موقف جودت سعيد : أظن -والله أعلم- أن نشوء الآراء الغريبة في فكره قد حصل لأن "جذور" الرجل الفكرية ليست موصولة بالتربية الفكرية الصافية لأهل السنة والجماعة ، بل هي موصولة بخليط من التربية والأفكار الأخـــــرى الغريبة على الفكر السني تُعلي من قيمة العقل إلى حدّ يجاوز حدوده التي رسمها الشرع .

2- وأما المفكرون والكتاب الذين استـدلـوا بآراء ؛ أو على الأصح ببعض آراء جودت سعيد ، فإنهم - في تقديري - قد استدلوا بـهــا لأنهم رأوا فيها الحكمة التي هي ضالة المؤمن ، ولأنهم حين يتعاملون مع غيرهم لا يأتمنوهـــم مطلقاً ولا يعصمونهم مطلقاً ، بل يسيرون في تعاملهم معهم وِفْقَ قول الله -عز وجل- ((وإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا)) ، كما أنهم حين ينقلون عن غيرهم يقتدون بسلفهم ، الصالح الذين قال قائـلـهـم : "لا تنظر إلى من قال ، وانظر إلى ما قال"(4) . أو كما قال أحدهم تعليقاً على كتاب قد ضمنه منهجه:"الكتاب لا الكاتب"(5).

أظن هذا الذي ذكرت يزيل بعض آثار صدمتي وصدمة كثير من قراء مجلة البيان.. ويخرجني ويخرج كثيراً منهم من حيرة أوقعتنا فيـهـا تلك المقالات التي كتبها الأخ عادل التل .

أسال الله -عز وجل- أن يوفقنا وإياكم إلى ما يحب ويرضـــــى ، وأن يعافينا وكل إخواننا مما يصيبنا بصدمة أو حيرة(*)" .

الهوامش :

1- مثل كتاب (مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم) .

2- كما في رسالته للدكتوراه بعنوان (منهج كتابة التاريخ الإسلامي) .

3- مثال مقالة (الأفكار أساس التغيير) بقلم محمد بدري .

4- ابن القيم - مدارج السالكين - ص3 الصفحة الأخيرة .

5- سيد قطب - الاخوان وعبد الناصر - أحمد عبد المجيد .

*- ونـزيـد عـلـى مـا قال الأخ أن جودت سعيد قد بعد عن المنهج وزاد انحرافاً في كتابه الأخير مثل (اقرأ وربك الأكرم) وما بعده من كتبه .

- البيان -

تعدد النجاحات

عبد العزيز بن محمد الخضر

لم تكن الدعوة الإسلامية أشد حـاجـة لتوحيد الصف والاستفادة من هذا المد الإسلامي مما هي عليه اليوم ، فهي بحاجة إلى كـل جـهــد - ولو كان قليلاً - وإلى كل الطاقات في كل مجال لسد الثغرات ، لذا فهي بأمسِّ الحاجة إلى استيعاب تعدد النجاحات التي تصب في مكان واحد وتخدم مسار الدعوة .
متى تختفي ظاهرة الإعاقة في أسلوب الرد لمناقشة أية قضية وتُسْتَبْدَلُ بالتشجيع والمساعدة وتعديل المسار بأسلوب لا يدخل منه الأعداء لتفريق الصف وتشتيت الجهود،وتقدير عامل المصلحة والمفسدة ومتى.. ؟ وأين.. ؟ وكيف.. ؟ يكون هذا الرد .
هناك عدة أساليب تستخدمها نوعية من هواة رصد الأخطاء، بـهـا يـسـتطيعون تخطئة أي عامل في حقل الدعوة... وهم بها يحسمون القضية حتى لا يدعون للآخـــر أيــة فـرصــة للمناقشة ، وكأن وجهة نظرهم هي الحق حتماً وما عداه باطل، وإن كانت هذه الأساليب تستخدم عن حسن نية غالباً ، إلا أنها تنشأ ممن لديهم خلل فـي جـانـب تجعل النقاش معهم متعذراً .
قد يستخدم أحدهم حجة صحيحة ، ودليلاً صحيحاً ، وكلاماً عاماً لا أحد يخالفه عليه، لـكنك تجده يركز عليه تركيزاً يوحي للمتابع أن الطرف الآخر لا يوافقه عليه - مع أنهم متفقون عليها - فيأتي بالنصوص وأقوال السلف وعموميات تبعده عن الفكرة التي اختلف الرأي حولها ، وخطورة الدندنة في هذا الأمر مع خصومه الذين يوافقونه في المنهج تصبح وكـأنـهـا تـهـمـة بطريقة إيحائية تجعله بعيداً عن منهج السلف ، خاصة إذا لم يجد مع خصمه أمراً واضحاً لاتهامه بها .
أحياناً نجد الاختلاف في وجهة النظر في أمر واسع لا يتعدى كونه مستحباً ، لكنك تجد عند بعضهم الحماس لهذه الأمور حتى أنه يوالي ويعادي من أجلها، فمثلاً عند الاختلاف حول أساليب الدعوة نجد أن هناك من يريد أن يحجر على من يخالفونه في الرأي - وإن كان لا يطلب ذلك مباشرة - حتى في طريقة عرضهم للقضايا في مـحـاضـراتـهـم ودروسهم وكتبهم ، مع أنه لا يوجد خطأ شرعي ، في مضمون الفكرة التي يريد الوصول إلـيهـا أو إقـنـاع المتلقي بها ، ومع هذا نجد التُّهم توجه إليهم بطريقة أو بأخرى وهي ناتجة عن ضيق أفــق وعُقَدٍ نفسية ممن يخالفه ، فإذا لم يجد خطأ في الفكرة أوحى إلى المتابع أنه يخالف منهج السلف ويشابه أهل البدع بطريقة غير موضوعية ، وينصَّب نفسه حكماً .

إذا كان الردّ على أحد نفع الله به ، وصار كثير من الناس يستمع له ويقبل منه قال إن الكثرة لا تدل على صحّة المنهج ثم يستشهد بالأدلة وكلام السلف وهذا الكلام صحيح ، لكن هل قـلــة الأتـبـاع وعــدم النجاح في نشر الدعوة دليل على صحة المنهج.. ؟! فهم يتعاملون مع هذا حسب الحاجة .
إطلاق تُهم عدم المنهجية عند فلان وفلان - أيضاً بطريقة إيحائية - خاصّة عند كلامهم مع تفصيلات دقيقة حــــول أي حـدث لتبرير عجزه ، فتجده يقلِّل من شأن أية معلومة صغيرة بحجة أنها لا تفيد المنهجيين في طلب العلم وتدريسه مع أن هذه التفصيلات تعطي رؤيا أوضح ، وتصور أكثر واقعية لكلّ حدث خاصّة أن الحكم على الشيء فرع من تصوره، ومـع هـذا فـهـم يـصـرون على أن هـناك استحالة للجـمـع بين الاهتمام بالتفاصيل المعقولة للأحداث وبين المنهجـيـة فـي طلب العلم ، ،والتربية لـلأمـــة من خلال الأحداث ينبغي الاهتمام بها وهذا لا يتأثر بالـكــلام العام دون التعليق والدخـــــول في التفصيلات المعقولة للأحداث والتربية في كل حدث لا يكون أثره إيجابياً إلا إذا جـــاء في وقته ، لأن الجميع يتابعونه ، أما إذا مضت السنون على حدث فإنه يفقد قيمته حـيـث يـنــدر المتابع له بعد هذه المدة ، ونحن إذا تأملنا أهمّ الأسـبـاب التي جـعـلـت الأمة تفقد وعيها وهويتها حتى وصلت إلى درجة كبيرة من الانحراف في جـمـيـع المجالات ، إضافة إلى جعلها لا تستفيد من الأخطاء في كل مجال وكل حدث، نـجـــد أهمها هو الإعلام بجميع أنواعه فهو الذي يوجِّه الأمة إلى ما يريد، ولا يكاد يسلم من هذا إلا أقلّ القليل، فتأثيره شامل لجميع فئات المجتمع ومختلف الأعمار ففي كلّ يوم ، بل وفي كل ساعة والأمة تتربى على هذا .
ولو كان هناك استيعاب لتعدد النجاحـــات وعـــدم احتقار الجهود - لتسير النجاحات بخطوط متوازية مع انطلاقها من قاعدة واحدة لا نقبل الاختلاف فيه - لتوفرت الطاقات وتوحدت الأهداف..
فلينزل إلى الساحة من حصر نفسه علمياً داخل الغرف المغلقة ، أو في الزوايا والتكايا فلسنا بحاجة إلى متفرجين يجيدون فنَّ التنظير والتعليق على الأخطاء من خلف الأسوار .

نصائح طبية

ماذا تفعل الأم ؟

د. محمد محمد القرمه

كثيراً ما يصاب الطفل بحوادث طارئة ، وتكون السرعة في علاج هذه الطوارئ هي السبب الأول الذي يُقدرّه الله -عز وجل- فـي طـريـق الشفاء.. وهنا سنبين للأم كيفية التعامل مع الحالات الطارئة على طفلها ، ونوضح لها ماذا تفعل في كل منها قبل مراجعة الطبيب .

*** إذا دخلت ذبابة أو بعوضة إلى أذن الطفل .**
تضع قطرات من الزيت داخل الأذن وبذلك تمـوت الحـشـرة وتفـرزها الأذن بعد إحاطتها بالشمع .
*** إذا أصيب الطفل بدمامل صغير في الأنف .**
لا تعبث به أبداً لاتصال أوردة هذه المنطقة بالمخ وسهولة تسرب الـمـيـكـروبـات إليه عند العبث بالدمل.
*** إذا ابتلع الطفل قطعة نقود أو خرزة .**
يعطى الطفل بعض القطن أو حتى طعامه الطبيعي مع ملاحظة براز الطفل 3 أيام فإذا مرت الأيام الثلاثة دون خروج الجسم الغريب ، فلا بد من عرض الطفل على الطبيب لتصوير جهازه الهضمي بالأشعة ومعرفة مكان الجسم الغريب .
*** إذا دخلت ذرة رمل أو نشارة خشب أو غيرها في عين الطفل**
تغسل العين بكمية كبيرة من الماء لطرد هذا الجسم الغريب ، فإذا استمر احمرار العين ، فلا بد من مراجعة طبيب العيون .
*** إذا دخل حنجرة الطفل جسم غريب كالحمص أو الخرز .**
سترى الأم أن طفلها بحالة اختناق وأن هناك صفيراً مع التنفس ، ويكـــون دور الأم هو تمييل رأس الطفل وصدره إلى الأمام والأسفل مع الخبط تحت مؤخرة العنق وأعلى الصدر ، وسترى أن هذا الشيء الذي يسبب الاختناق قد خرج بإذن الله . أمّــا إذا لـم يـخـرج فعليها أن تسرع إلى الطبيب لاستخراجه بالوسائل المناسبة .
*** إذا تناول الطفل مادة سامة .**
ينقل الطفل إلى المستشفى مع ما يدل على نوع المادة أو الدواء الذي تناوله.. ويمكن بوجه عام إعطاء الطفل كوباً من الماء به 3 ملاعق من ملح الطعام وذلك لدفعه إلى القيء. ولكن تستثنى من ذلك الحالات التي يشرب فيها الطفل الكيروسين أو البنزين أو المواد الكاوية.. حيث يكون العلاج السريع هو إعطاء الطفل كوباً من اللبن مخلوطاً ببياض البيض .
*** إذا أصيب الطفل بحروق .**
تضع الثلج على مكان الحرق لمدة 10 دقائق ثم تدهنه بمرهم ملطف وتعطيه بعض المسكنات حتى يعرض على الطبيب .
*** إذا أصيب الطفل بتشنجات مصحوبة بفقدان الوعي .**
تفك الأزار والأحزمة ويمدَّد الطفل على بطنه ، ورأسه إلى أسفل قليلاً حتى لا يبتلع الطفل لسانه ، ويتسبب اللسان في انسداد الحلق .
وإذا كانت التشنجات بسبب ارتفاع درجة الحرارة ، فيجب على الأم العمل على تخفيض درجة الحرارة بوضع كمادات باردة على الجبهة والرقبة وإعطاء الطفل "تحاميل" خافض للحرارة .
*** إذا أصيب الطفل بنزيف من الأنف .**

يُجلس الطفل بحيث يميل رأسه إلى الأمـــام ، وتضغط الأم على جانب الأنف لسد فتحته وإعطاء الفرصة لتجلط الدم النازف ، مع وضـــــع قطعة من الثلج على جبهة الطفل بضع دقائق .

*** إذا أصيب الطفل بالتهاب حاد في الأذن .**

يُـعـطــى الطفل المـسـكـنــات، ولا يُـنـقط أي دواء في الأذن، مع ضرورة عرض الطفل على الطبيب .

... هذه بعض النصائح الطبية للأم .. وقد حاولنا فيها أن يكون العلاج في حـدود قدرتها ، وما يمكن أن يحويه بيتها، ونـســأل الله لجـمـيـع أطـفــال المسلمـيـن الـعـافية والنجاة من الحوادث .

إصدارات

الإسلام كبديل، 251 صفحة .

المؤلف : مراد هوفمان . المترجم : د. غريب محمد غريب .

الناشر : مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام ألمانيا، ومجلة النور الكويت، الطبعة الأولى 1413 - 1993.

موضوع الكتاب : المؤلف هو سفير ألمانيا في المغرب الذي أعلن إسلامه ، وكتب عن الإسلام كبديل ، استعرض فيه المجـتـمـع الغربي وعوامل الضعف فيه ، كما تـكـلـم عـن العقـيدة الإسلامية مقارنة بالـنصـرانية ، وعن الصوفية ، وعن الحرية الاقتصادية ، وعن الحكومة الإسلامية، والمـؤلــف صاحب ثقافة واسعة ، ولا يخلو الكتاب من أخطاء نظراً لعدم تعمق المؤلف بالعلوم الإسلامية ، واعتماده على الكتب المترجمة أو المؤلفة باللغات الأجنبية .

***

البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة، 212 صفحة .

المؤلف : الدكتور محمد حرب .

الناشر : المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1413هـ/1993م.

موضوع الكتاب : دارسة عامة لبلاد البوسنة والهرسك منذ الفتح الإسلامي وحتى الوقت الحاضر ، والكتاب دراسة أكاديمية موثقة .

***

المسلمون واكتشاف الأميركيتين، 80 صفحة .

المؤلف : خالد عزب .

الناشر :دار الصحوة في القاهرة ، الطبعة الأولى 1413هـ/1993م .

الموضوع : دارسة مفصلة لاكتشاف أميركا مع إبراز الدلائل على وجود المسلمين في أميركا قبل وصول كولومبس إليها .

الصفحة الأخيرة

الأرض الثقافية المحروقة !

جمال سلطان

الثابت في ساحة الفكر والثقافة العـربـيـة الحالية ؛ أن ثقافة الاغتراب والعلمنة والتبعية، آلـت إلـى المحاق الأخير ، وأوشكت آثارها على الاندراس نهائياً من ديار الإسلام ، فقد سقطت الـماركسية في أعلى نماذجها ، بل إن موجة "الاشتراكية" ذاتها تُمنَّى بانتكاسات خطيرة على امتداد العالم كله ، شرقية وغربية ، كما أن العلمانية الغربية ودعاوى التقدم والإخاء الإنساني والحضارة الإنسانية الواحدة، والعقلانية وعصر النور، كل هذه الدعاوى الغريبة قد سقطت تماماً على أرض الواقع، وتـم تـكـفـيـنـهـا ودفـنـهـا من تراب البوسنة والهرسك، حتى ارتفعت أصوات بعض المثقفين الغربيين بالصراخ ولـطـم الخـدود، وشــق الجـيـوب عـلـى هــذا الانحدار المزري الذي آلت إليه حضارة أوربا وإنسانيتها ، أمام ما يحدث بين جنباتها أو تحت سمعها وبصرها وبصنع أيديها .

اليسار العربي - بفصائله - والعلمانية العربية على اختلاف ألوانها ومذاهبها ، ترى ذلك وتتيقن منه ، وتعلم يقيناً أن فكرهـا ومذاهبها ومناهجها وأحزابها ، ليس إلا زبالة ستؤول إلى مقابر التاريخ ! كما أنها توقــن أن "الدين الإسلامي" هو دين الأمس واليوم والغد ، في ديار العرب والإســلام، وهل تخطيء العين شمس الواقع ونهاره إلا عن رمد أو عمى؟ المهم في القضية هو: أن ثقافة الاغتراب وثقافة الماركسيين العرب، تـأبـى لجـمـاهـيــر الأمة أن تـخـتـار طـريقـهــا، وتخط مستقبلها، وتبني مشروعها الثقافي والحضاري، بحرية وهدوء، وترقى إلى تدمير كــل شيء، أي شيء مــن ثقـافـة الأمة ، ودين الأمة ، ومعالم حضارتها وسكب الوحل على تاريخها كـلــه ، ولا تزال فـلــول الـمـخـربين المتنفذة في بعض مراكز التوجيه والقرار - في عدد من البلدان العربية - تحاول إحراق أرضنا الثقافية قبيل إعلان النصر الإسلامي الحضاري نهائياً على أعداء الإسلام ، ولا زالـت الفـلـول تـغـذي نـيـران الـفـتـنة ، طائفية أو سياسية ، في عدد من ديار العرب ، بغية تدمير ما يمكن تدميره من بناء الأمة النفسي والاجتماعي.

هذه الهجمة الموتورة ، هي - بلا شك - إرهاصات النصر وإشارات المنتهى ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

تمت بعون الله والحمد لله
